أنفق ولا تخف

رحلة قصيرة نحو طمأنتتة القلب وحرية الروح

د. فؤاد عبدالله

1447 - 2026

الإهداء

إلى كل قلبٍ خاف أن يُعطي...

إلى من تردّد لحظة العطاء،

وسأل نفسه:

"وماذا لو احتجتُ أنا؟"

إلى من أراد أن يكون كريمًا...

لكن الخوف سبقه في كل مرة...

هذا الكتاب لك.

لك...

لتتعلم أن الله لا يأخذ منك...

بل يعطيك بطريقةٍ لم تكن تتخيلها.

ولك...

لتطمئن أن يدك حين تُنفق،

فإنها لا تُفرغ...

بل تُملأ من حيث لا تحتسب.

فهرس الكتاب

مقدمة الكتاب 7

الفصل الأول 10
وهم الأمان
الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا

الفصل الثاني 22
أنفق لتتحرر
الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ

الفصل الثالث 32
ماذا يحدث في القلب حين تعطي؟
خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا

الفصل الرابع 39
البركة... ليست أرقامًا
مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ

الفصل الخامس 50
الإنفاق كاستثمار أخروي
مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ
إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له

الفصل السادس 60
صباحٌ في السماء... ودعاءان يتسابقان عليك
ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفا.

الفصل السابع 68
تمرة... بحجم جبل
مَن تَصدَّقَ بِعدْلِ تمرةٍ مِن كَسْبٍ طَيِّبٍ – ولا يقبلُ اللهُ إلا الطَّيِّبَ – وإنَّ اللهَ يَتقبَّلُهَا بيمينِهِ، ثم يُربِّيها لِصَاحِبِه، كما يُربِّي أحدُكم فَلُوَّه، حتى تكونَ مثلَ الجَبَلِ

الفصل الثامن 78
الصدقة... منطق السماء لا منطق الأرقام
ما نقص مالٌ من صدقةٍ

الفصل التاسع 92
الصدقة... قرضٌ حسنٌ مع الله
إِنَّ ٱلۡمُصَّدِّقِينَ وَٱلۡمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقۡرَضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعَفُ لَهُمۡ وَلَهُمۡ أَجۡرٞ كَرِيمٞ

الفصل العاشر 97
ثقافة الاستهلاك ضد ثقافة العطاء
وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً

الفصل الحادي عشر 102
يدٌ بين القَبْض والبَسْط... فلسفة التوازن في زمن الاستهلاك
وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا

الفصل الثاني عشر 109
لا تلقِ قلبك إلى التهلكة
وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ

الفصل الثالث عشر 117
لا تُحوّل صدقتك إلى منشور فارغ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَى

الفصل الرابع عشر 126
لوجه الله فقط... حين يتحرر القلب من تصفيق الناس
إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا

الفصل الخامس عشر 133
البر الحقيقي يبدأ بما تحب
لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ

الفصل السادس عشر 140
لا تعطِ الله ما لا ترضاه لنفسك
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ

الفصل السابع عشر 147
عندما يصبح العطاء أسلوب حياة
الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ

الفصل الثامن عشر 157
لأن التقوى لا تأخذ إجازة
الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ

الفصل التاسع عشر 164
بين صدقة السر وصدقة العلن
إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ

الفصل العشرون 173
بين يمينٍ لا تُرى... وقلبٍ يراه الله فقط
ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه

الفصل الحادي والعشرون 182
الذين لا يسألون... ولكن قلوبهم تتكلم
لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ

الفصل الثاني والعشرون 188
لا تكسر قلبًا... فربما كان بابك طريقه إلى الله
وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ

الفصل الثالث والعشرون 194
لا توَجِّل العطاء... أعطِ وأنت في ذروة الحياة
أن تصدق وأنت صحيح شحيح، تخشى الفقر وتأمل الغنى، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا

الفصل الرابع و الثلاثون 212
قبل أن تُغلق الأبواب
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ ۗ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ

الفصل الخامس والعشرون 227
عندما سألوه: ماذا ننفق؟ ... فجاءت الإجابة التي تبني أمة
يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ ۖ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ

الفصل السادس والعشرون 236
أقرب باب للجنة... يبدأ من بيتك
دينارٌ أنفقتَه في سبيل الله، ودينار أنفقتَه في رقبة، ودينار تصدقتَ به على مسكين، ودينارٌ أنفقتَه على أهلك، أعظمُها أجرًا الذي أنفقتَه على أهلك

الفصل السابع والعشرون 242
بناء المساجد... مشروع يبدأ في الأرض ويستمر في السماء
من بنى مسجدًا لله بنى الله له مثله في الجنة

الفصل الثامن والعشرون 249
سقيا الماء... صدقة تمشي على الأرض
سأل أحد الصحابة النبي ﷺ قال: يا رسول الله، إن أمي ماتت، أفأتصدق عنها؟ قال: نعم. قال: فأي الصدقة أفضل؟ قال: سقي الماء.

الفصل التاسع و العشرين 259
أو مُصحفًا ورَّثه
إنَّ مِمَّا يلحقُ المؤمنَ من عملِه وحسناتِه بعدَ موتِه عِلمًا علَّمَه ونشرَه وولدًا صالحًا ترَكَه ومُصحفًا ورَّثَه أو مسجدًا بناهُ أو بيتًا لابنِ السَّبيلِ بناهُ أو نَهرًا أجراهُ أو صدَقةً أخرجَها من مالِه في صِحَّتِه وحياتِه يَلحَقُهُ من بعدِ موتِهِ

الفصل الثلاثون 268
عندما يصبح الخبز رسالة حب... سرُّ إطعام الطعام
وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا

الفصل الحادي و الثلاثون 279
كل لقمة تأكلها طير من شجرتك = صدقة جارية لك!
ما من مسلمٍ يغرسُ غرسًا أو يزرعُ زرعًا فيأكلُ منه طيرٌ ولا إنسانٌ إلا كان له به صدقة

الفصل الثاني و الثلاثون 291
كفالة الأيتام... حين يصبح القلب بيتًا
أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وأشار بالسبابة والوسطى، وفرّج بينهما قليلًا

الفصل الثالث و الثلاثون 304
حين تدخل الجنة بسبب ... دين
إنَّ رَجُلًا كان فِيمَن كانَ قَبْلَكُمْ، أتاهُ المَلَكُ لِيَقْبِضَ رُوحَهُ، فقِيلَ له: هلْ عَمِلْتَ مِن خَيْرٍ؟ قالَ: ما أعْلَمُ، قِيلَ له: انْظُرْ، قالَ: ما أعْلَمُ شيئًا، غيرَ أنِّي كُنْتُ أُبايِعُ النَّاسَ في الدُّنْيا وأُجازِيهِمْ، فَأُنْظِرُ المُوسِرَ، وأَتَجاوَزُ عَنِ المُعْسِرِ، فأدْخَلَهُ اللَّهُ الجَنَّةَ.

الفصل الرابع والعشرون 311
صنائع المعروف... الدرع الخفي الذي يحمي حياتك
صنائع المعروف تقي مصارع السوء، وصدقة السر تُطفئ غضب الرب، وصلة الرحم تزيد في العمر

الفصل الخامس و الثلاثون 321
ليس عليك هداهم... ولكن عليك قلبك
لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٖ فَلِأَنفُسِكُمْۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٖ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ

الخاتمة 327

مقدمة الكتاب

في عالمٍ يُربَّى فيه الإنسان منذ صغره على أن الأمان فيما يملك،

وأن النجاة في الادخار،

وأن الخسارة تبدأ حين يعطي...

يأتي هذا الكتاب ليهمس لك بحقيقة مختلفة تمامًا:

الخوف ليس من الإنفاق... بل من الإمساك.

هذا الكتاب ليس دعوةً للصدقة فقط،

بل هو دعوة لإعادة تعريف علاقتك بكل شيء:

بالله ... وبالمال... وبالقلب...

هو رحلة تبدأ من سؤال بسيط لكنه عميق:

لماذا نخاف أن نعطي؟

لماذا نشعر أن ما يخرج من أيدينا قد ضاع...

مع أن الله وعدنا أنه ما ضاع عنده شيء؟

ستكتشف في هذه الصفحات أن القضية ليست في المال،

بل في المعنى الذي نحمله عنه.

سترى كيف يصنع الشيطان وهم الفقر،

وكيف يبني الله في قلبك يقين الغنى.

ستتعلم أن العطاء ليس تضحية،

بل تحرر...

وأن الصدقة ليست نقصًا،

بل امتدادًا لما لا ينتهي.

هذا الكتاب يمشي بك خطوةً خطوة:

من قلبٍ متردد...

إلى قلبٍ واثق...

من يدٍ قابضة...

إلى يدٍ ممتدة...

من حسابات الأرض...

إلى موازين السماء.

ستمرّ بمحطات:

تتعلم فيها معنى البركة،

وتفهم سرّ مضاعفة الأجر،

وتكتشف كيف تتحول تمرة صغيرة إلى جبل،

وكيف يصبح عمل بسيط بابًا إلى الجنة.

وستقف أمام نفسك كثيرًا...

حين تسأل:

هل أعطي ليراني الناس؟

أم أعطي لأن الله يراني؟

هذا الكتاب ليس للذين يملكون الكثير فقط...

بل كُتب خصيصًا:

لمن يظن أن عنده القليل.

لمن يخاف أن ينقص...

لمن يؤجل العطاء...

لمن يريد أن يطمئن.

هو كتاب لك...

إن كنت تبحث عن يقينٍ يسبق العطاء،

لا ينتظر نتائجه.

وفي النهاية...

لن يطلب منك هذا الكتاب أن تُنفق مالك فقط،

بل أن تُنفق خوفك،

وتتخلى عن وهمٍ عاش فيك طويلًا:

أن ما تمسكه يبقى... وأن ما تعطيه يذهب.

أنفِق... ولا تخف.

فما عندك ينفد...

وما عند الله باقٍ.

للتواصل مع المؤلف : fouadabdulla@hotmail.com

الفصل الأول

وهم الأمان

الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا

(البقرة 268)

لماذا نشعر بالاطمئنان حين يزيد الرصيد؟

ولماذا يقلقنا أي نقص فيه، ولو كان بسيطًا؟

المسألة ليست أرقامًا.

بل شعور.

المال يمنحنا إحساسًا بالسيطرة.

يوهمنا أننا أمسكنا بزمام الغد.

كل مبلغ محفوظ يبدو كأنه جدار إضافي بيننا وبين المجهول.

نحن لا نحب المجهول.

نحب أن نخطط، أن نحسب، أن نتوقع.

والمال يبدو أداة مثالية لذلك.

لكن دعنا نتوقف لحظة.

هل حدث أن ادخرت مبلغًا كنت تظنه كافيًا لأي طارئ...

ثم جاء طارئ أكبر مما توقعت؟

وهل حدث أن عشت فترة بموارد أقل،

ومع ذلك سارت الأمور بطريقة لم تكن في الحسبان؟

الحياة لا تُدار بالأرصدة وحدها.

ومع ذلك، نتعامل أحيانًا وكأن المال هو مصدر الأمان الوحيد.

هنا يبدأ الوهم.

الجدار الذي لا يكتمل

كلما زاد ما نملك، ارتفع معيار الأمان.

من كان يظن أن ألفًا تكفي،

يبدأ في التفكير بعشرة آلاف.

ومن بلغ عشرة، يريد مئة.

ومن بلغ مئة، يخشى أن يخسرها.

الجدار لا يكتمل أبدًا.

لأن المشكلة ليست في مقدار المال،

بل في الاعتقاد أن الأمان يُبنى به فقط.

وهذا الاعتقاد هو ما يكشفه القرآن بدقة حين يقول:

الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا (البقرة 268)

الآية لا تقول: **الشيطان يُفقركم.**

بل يقول: **يعدكم**.

الوعد يحدث قبل الحدث.

إنه خطاب داخلي.

الخوف يبدأ فكرة...

ثم يتحول إلى شعور...

ثم يصير قرارًا.

الفرق بين الحكمة والخوف

الإسلام لا يدعو إلى التهور المالي.

ولا إلى إهمال المسؤوليات.

ولا إلى توزيع كل ما في اليد دون حساب.

التخطيط مشروع.

والادخار جائز.

ورعاية الأهل واجب.

لكن هناك فرقًا دقيقًا بين:

أن تدخر بحكمة،

وأن تتمسك بخوف.

الحكمة تقول: أستعد للمستقبل.

الخوف يقول: المستقبل لن يرحمني.

الحكمة هادئة.

الخوف متوتر.

الحكمة تتوكل وتعمل.

الخوف يعمل... ولا يتوكل.

اسأل نفسك بصدق:

لو نقص من مالك جزء يسير،

هل يهتز قلبك أم يبقى مطمئنًا؟

الاهتزاز الشديد علامة تعلق.

والتعلق الشديد علامة أن المال تجاوز كونه وسيلة... وصار مصدر طمأنينة أساسي.

اختبار صغير

تخيل أنك قررت تخصيص نسبة ثابتة للإنفاق في سبيل الله.

ماذا تشعر الآن؟

ارتياح؟

تردد؟

حسابات سريعة؟

مقاومة داخلية؟

راقب أول شعور يظهر.

هذا الشعور هو نافذتك إلى حقيقة علاقتك بالمال.

الأمان الحقيقي

الأمان لا يعني غياب الأسباب.

ولا يعني تجاهل الحساب.

لكن الأمان العميق هو أن تعلم أن ما عند الله أوثق مما في يدك.

أن تؤدي ما عليك،

ثم لا تعيش أسير الاحتمالات.

أن تدخر... دون أن تتعبد للادخار.

أن تعمل... دون أن تظن أنك المتحكم الوحيد.

حين نفهم هذا، يتحول المال من جدار نتكئ عليه،

إلى أداة نستخدمها.

الجدار قد يسقط.

لكن الأداة يمكن استبدالها.

بداية التحرر

وهم الأمان لا ينكسر فجأة.

لا يحدث بقرار عاطفي عابر.

ينكسر حين تبدأ بخطوات صغيرة واعية.

أن تعطي رغم التردد.

أن تختبر الثقة مرة بعد مرة.

أن ترى أن الحياة لم تنهَر لأنك أنفقت.

كل مرة تنتصر فيها على الخوف،

يتراجع الوهم خطوة.

وكل خطوة نحو الثقة،

هي خطوة نحو حرية أعمق.

العطاء في زمن ليس لديك ما يكفي

قصة البداية: زر تخطي

كانت تتصفح هاتفها قبل النوم.

صور أصدقاء في مطاعم جديدة.

إعلانات لرحلات.

مؤثرة تتحدث عن أشياء أساسية لا يمكنك العيش بدونها.

ثم ظهر إعلان بسيط في الأسفل:

تبرع الآن... حتى بمبلغ صغير.

توقفت للحظة.

ليس لأنها لا تريد الخير...

بل لأن فكرة واحدة ظهرت فورًا:

ليس الآن... لأن لديها التزامات.

ليس الآن... لأن الشهر طويل.

ليس الآن... لأنها تحتاج أن تشعر بالأمان أولًا.

ضغطت زر **تخطي.**

لكن الغريب... أن الشعور بعدم الاكتفاء لم يختفِ.

رغم أنها لم تُنفق شيئًا.

في اليوم التالي، اشترت شيئًا لم تكن تحتاجه فعلًا.

شعرت بلحظة متعة قصيرة... ثم عاد نفس الفراغ.

حينها بدأت تدرك حقيقة لم تكن واضحة من قبل:

المشكلة لم تكن في قلة المال...

بل في شعور دائم بأن ما لديها... لن يكون كافيًا أبدًا.

وهذا هو التحدي الحقيقي في زمننا.

نحن لا نعيش في زمن الفقر... بل في زمن الشعور بالفقر

معظم الناس اليوم يملكون أكثر مما كان يملكه أجدادهم.

لكن القليل فقط... يشعر بالاكتفاء.

لماذا؟

لأننا نتعرض يوميًا لرسالة خفية ومتكررة:

أنت تحتاج المزيد.

المزيد لتكون آمنًا.

المزيد لتكون سعيدًا.

المزيد لتكون كافيًا.

هذه الرسالة لا تُقال بصوت مرتفع...

لكنها تُزرع بهدوء، عبر الصور والمقارنات والتوقعات.

فتتحول الحياة إلى سباق بلا خط نهاية.

ووسط هذا السباق... يصبح العطاء صعبًا.

ليس لأننا لا نملك.

بل لأننا نخاف أن لا يكفي ما نملك.

الخوف القديم... في ثوب جديد

هذا الشعور ليس جديدًا.

القرآن كشف مصدره بوضوح:

الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا (البقرة 268)

الوعد بالفقر... ليس دائمًا حقيقة.

أحيانًا يكون مجرد خوف.

الخوف من المستقبل.

الخوف من الطوارئ.

الخوف من فقدان السيطرة.

والخوف، حين يسكن القلب، يجعل القبضة تنغلق.

ليس لأن اليد لا تستطيع أن تعطي...

بل لأن القلب لا يشعر بالأمان.

كيف يحرر العطاء القلب؟

العطاء ليس مجرد نقل مال من يد إلى يد.

إنه إعادة تشكيل العلاقة بينك... وبين الخوف.

في كل مرة تعطي، أنت تقول لنفسك دون كلمات:

أنا لست تحت سيطرة الخوف.

أنا أثق أن ما عند الله... لا ينفد.

العطاء لا يقلل التعلق بالمال فقط...

بل يقلل سلطة القلق عليك.

فالمشكلة لم تكن يومًا في المال نفسه،

بل في الوهم الذي يقول:

بدونه... لن تكون بخير.

المال... سيد أم خادم؟

في الأصل، المال أداة.

ورقة.

رقم في حساب.

وسيلة لتبادل المنافع.

لكن شيئًا ما يحدث بهدوء.

تتحول الأداة إلى مرجع.

ثم إلى معيار.

ثم — دون أن نشعر — إلى سلطة.

السؤال ليس: هل نملك المال؟

السؤال: هل يملكنا المال؟

كيف يبدأ التحول؟

لا أحد يستيقظ صباحًا ويقول:

اليوم سأجعل المال سيد حياتي.

الأمر أدق من ذلك.

يبدأ حين يصبح القرار الأخلاقي مرتبطًا بالمكسب.

حين تتغير قناعاتنا لأن التكلفة عالية.

حين نتردد في فعل الخير لأن الميزانية لا تسمح... رغم أنها تسمح لأشياء أقل أهمية.

يبدأ حين يصبح السؤال الأول دائمًا:

كم سيكلفني هذا؟

لا بأس بالسؤال.

لكن حين يكون هو السؤال الوحيد، فهناك شيء اختل.

علامات التعلق الخفي

التعلق لا يظهر في التصريحات، بل في ردود الفعل.

انزعاج مفرط عند أي خسارة بسيطة.

مقارنة مستمرة بما يملك الآخرون.

صعوبة في العطاء حتى عند القدرة.

شعور داخلي بأن القيمة الشخصية مرتبطة بما نملك.

التعلق يجعل المال أكثر من وسيلة.

يجعله مرآة للهوية.

وكلما زاد التعلق، زاد القلق.

لأنك إن ربطت قيمتك بشيء قابل للنقصان،

فستعيش دائمًا في حالة دفاع.

لماذا يصعب علينا الاعتراف؟

لأننا نحب أن نرى أنفسنا عقلانيين.

نقول: *أنا فقط حريص.*

أنا أخطط.

أنا مسؤول.

وقد يكون هذا صحيحًا جزئيًا.

لكن الحرص حين يتحول إلى خوف دائم...

والتخطيط حين يتحول إلى هوس...

والمسؤولية حين تتحول إلى تبرير للبخل...

فهنا يجب أن نتوقف.

المال في مكانه الصحيح

المال خادم ممتاز.

لكنه سيد قاسٍ.

حين يكون خادمًا،

يُستخدم لتحقيق القيم.

لرعاية الأهل.

لإغاثة محتاج.

لدعم مشروع نافع.

وحين يصبح سيدًا،

نُعيد ترتيب القيم لخدمته.

نؤجل الخير.

نبرر التقصير.

ونقنع أنفسنا أن الوقت لم يحن بعد.

اختبار السيطرة

اسأل نفسك بهدوء:

لو طُلب منك أن تتنازل عن نسبة محددة من دخلك في سبيل الله،

هل ترى ذلك قرارًا طبيعيًا ضمن حياتك...

أم تهديدًا لاستقرارك؟

الإجابة ليست لإدانة نفسك.

بل لفهم موقع المال في قلبك.

التحرر لا يعني الفقر

تحرير المال من مقام السيادة لا يعني ترك الدنيا.

ولا يعني التقليل من قيمة الرزق.

ولا يعني العيش بلا تخطيط.

بل يعني ببساطة:

أن يبقى المال في يدك... لا في قلبك.

أن تستطيع العطاء دون أن تشعر أنك تفقد جزءًا من ذاتك.

أن تخسر مالًا ولا تخسر هدوءك.

حين تصل إلى هذه المرحلة،

يتغير كل شيء.

المال لا يعود مصدر توتر دائم.

ولا معيارًا لقيمتك.

ولا حاجزًا يمنعك من الخير.

يعود إلى حجمه الطبيعي.

الفصل الثاني

أنفق لتتحرر

الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا
يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ
رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ

(البقرة 262)

حين تعطي، لا تفكر أنك تخسر.

فأنت لا تخرج مالك فقط...

بل تخرج جزءًا من الخوف، والقلق، والتعلق الذي يثقل قلبك.

الإنفاق هو مفتاح حرية صغيرة... صغيرة في البداية، لكنها تتسع مع الوقت.

مصداقا لقوله تعالى

الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (البقرة 262)

التحرر من وهم السيطرة

من أكبر أوهامنا أننا نملك كل شيء.

نحاول أن نسيطر على المستقبل عبر الحسابات والأرصدة،

ونظن أن المال هو الضمان الوحيد للأمان.

الإنفاق يعيد ترتيب هذه المعادلة.

يذكرك أن القوة الحقيقية ليست في ما تحت يدك،

بل في ما في قلبك: الثقة بالله، والرضا، والطمأنينة.

خطوات عملية للتحرر عبر العطاء

1. **ابدأ صغيرًا**

الخطوة الأولى دائمًا بسيطة: مبلغ قليل، وقت قصير، أو مهارة صغيرة.

البداية ليست بحجم المبلغ... بل بحجم التحول

ليس المطلوب أن تعطي الكثير دفعة واحدة.

المطلوب أن تبدأ.

أن تكسر حاجز الخوف... مرة واحدة.

أن تثبت لقلبك أن الأمان... لا يأتي من الاحتفاظ بكل شيء.

بل من الثقة... وأنت تترك جزءًا منه.

العطاء الصغير... ليس صغيرًا.

لأنه لا يغير رصيدك فقط.

بل يغيرك أنت.

2. **اجعل العطاء عادة**

يوميًا أو أسبوعيًا، ضع لنفسك نسبة ثابتة...

حتى لو شعرت بالتردد، كرر التجربة.

عندما يتحول العطاء إلى نظام... لا إلى نزوة

قصة البداية: صدقة المزاج

كان كريمًا... لكن حسب حالته النفسية.

إذا شعر بالامتنان — أعطى.

إذا سمع قصة مؤثرة — أعطى.

إذا جاءه راتب إضافي — أعطى.

لكن إن كان متعبًا... أو قلقًا... أو مشغولًا،

يتأجل العطاء تلقائيًا.

وذات مرة لاحظ شيئًا غريبًا:

أشهرٌ تمرّ دون أن يعطي شيئًا،

ليس لأنه لا يريد...

بل لأنه ينتظر الشعور المناسب.

حتى أدرك حقيقة بسيطة:

لو ترك الصلاة للشعور... لما صلى دائمًا.

ولو ترك الرياضة للمزاج... لما تحرك أبدًا.

فلماذا ترك العطاء للموجة العاطفية؟

في تلك اللحظة قرر أن يفعل شيئًا مختلفًا.

لم يزد المبلغ.

بل ثبّت العطاء.

نسبة محددة.

وقت محدد.

آلية واضحة.

ومنذ ذلك اليوم، لم يعد العطاء قرارًا يوميًا مرهقًا.

أصبح عادة.

وهنا تغير كل شيء.

المشكلة ليست في النية... بل في الاستمرارية

معظم الناس يحبون فكرة العطاء.

لكنهم يعتمدون على:

لحظة تأثر

حملة موسمية

فائض مفاجئ

وهذا يجعل العطاء متقطعًا.

المشاعر قوية... لكنها غير ثابتة.

أما النظام... فيبقى.

ولهذا كان أحب الأعمال إلى الله:

أدومها وإن قل.

السر ليس في الكثرة.

بل في الثبات.

لماذا نحتاج نظامًا للعطاء؟

لأن النفس البشرية تميل إلى التأجيل.

ليس هذا الشهر.

بعد أن أستقر.

عندما يزيد دخلي.

لكن الحقيقة أن الظروف لا تستقر بالكامل أبدًا.

إن لم تُقرر نسبة واضحة...

سيبقى العطاء رهين المزاج.

والعطاء حين يصبح جزءًا من التخطيط،

يتحول من رد فعل... إلى التزام.

ثلاث خطوات بسيطة لصناعة نظام عطاء

حدّد نسبة... لا مبلغًا

المبلغ يتغير.

لكن النسبة تعيش معك.

حين تجعل العطاء نسبة من دخلك،

يكبر معك... ويصغر معك.

لكنه لا يتوقف.

اجعل له وقتًا ثابتًا

بداية الشهر.

أول الراتب.

يوم الجمعة.

ربما واحدة بالليل وواحدة بالنهار.

فلتكن مرة قبل صلاة الجمعة و مرة ليلة الاثنين بعد صلاة العشاء مثلا.

المهم أن لا تتركه للصدفة.

العطاء المؤجل... غالبًا لا يحدث.

نوّع بين السر والعلن

عطاء سري... يربي الإخلاص.

عطاء ظاهر... يشجع غيرك.

التوازن يصنع عمقًا في التجربة.

بذلك حققت مفهوم قوله تعالى

الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (البقرة 262)

ماذا يتغير عندما يصبح العطاء عادة؟

أولًا: يختفي الصراع الداخلي المتكرر.

لم تعد تسأل كل مرة: أعطي أم لا؟

ثانيًا: يهدأ خوف النقص.

لأنك أثبتّ لنفسك مرارًا أنك تعطي... وتبقى بخير.

ثالثًا: يتحول العطاء من حدث عاطفي

إلى جزء من هويتك اليومية.

كما تدفع فواتيرك بانتظام،

تصبح الصدقة بندًا ثابتًا في حياتك.

الفرق بين العطاء الموسمي... والعطاء المستدام

العطاء الموسمي يشبه المطر الغزير المفاجئ.

قوي... لكنه قصير.

أما العطاء المستمر

فيشبه نهرًا صغيرًا دائم الجريان.

قد لا يكون صاخبًا،

لكنه يغيّر الأرض بمرور الوقت.

وأنت أيضًا... تتغير معه.

النظام لا يقتل الروح... بل يحميها

قد يظن البعض أن تنظيم العطاء يجعله ميكانيكيًا.

لكن الحقيقة عكس ذلك.

النظام يحمي العطاء من التقلبات.

يحميه من الكسل.

يحميه من الانشغال.

ويترك للمشاعر الجميلة... أن تضيف، لا أن تكون الأساس الوحيد.

عندما يصبح العطاء جزءًا من ميزانيتك... يصبح جزءًا من حياتك

حين تكتب العطاء ضمن مصروفاتك،

أنت تعلن شيئًا مهمًا لنفسك:

أن العطاء ليس فائضًا.

بل أولوية.

وهنا يحدث التحول الحقيقي.

لم تعد تسأل:

هل أستطيع أن أعطي؟

بل تسأل:

كيف أُحسن العطاء؟

الحقيقة التي يكتشفها أصحاب الأنظمة

بعد أشهر من الالتزام، يحدث أمر غير متوقع.

لم يعد العطاء عبئًا.

لم يعد قرارًا صعبًا.

لم يعد اختبارًا مؤلمًا.

أصبح طبيعيًا.

وهذه هي المرحلة التي يتحول فيها العطاء

من سلوك... إلى أسلوب حياة.

راقب شعورك

لاحظ الخوف قبل العطاء، والطمأنينة بعده.

دوّن ذلك إن استطعت، فالتأمل يزيد الوعي.

في النهاية، يكتشف من يعطي بصدق حقيقة مدهشة:

أنه لم يكن يخسر شيئًا.

كان يستبدل القلق... بالطمأنينة.ويستبدل الخوف... بالثقة.

ويستبدل الضيق... بالاتساع.

العطاء لم يكن نقصًا.

كان تحررًا.

ادمج العطاء في حياتك

ليست صدقة واحدة تكفي... بل نمط مستمر يربط قلبك بالخير.

أثر العطاء على حياتك

راحة نفسية: يقل القلق، ويخف التوتر.

نضج روحي: تكسر الأنانية، ويصبح القلب أوسع.

وعي مالي أفضل: ترى المال كأداة، لا كغاية.

أثر اجتماعي: توصل الخير للآخرين، وتصبح جزءًا من سلسلة العطاء المستمر.

رسالة مباشرة للقارئ

الإنفاق ليس فقط للفقراء أو المحتاجين.

هو للجميع. لكل قلب يريد التحرر.

لكل عقل يريد أن يتعلم معنى البركة الحقيقي.

لكل روح تريد أن تكون أثقل بالقيم، أخف بالخوف.

أنفق لتتحرر من وهم المال، لتتحرر من القلق، لتتحرر من القيود الداخلية.

أنفق لتصبح الحياة أبسط... والنية أنقى... والارتباط بالله أقوى.

الخاتمة

المال وسيلة...

والعطاء هو سر القوة الحقيقية.

ابدأ اليوم بخطوة صغيرة.

كررها غدًا.

واصلها أسبوعًا، شهرًا، سنة.

ستكتشف أن العطاء ليس فقط تغييرًا في الخارج...

بل تحولًا داخليًا، يخلق قلبًا أوسع، وطمأنينة أعمق، وحياة أكثر معنى.

الفصل الثالث

ماذا يحدث في القلب حين تعطي؟

خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا

(التوبة 103)

تخيّل المشهد...

قومٌ تأخروا عن الجهاد، شعروا بالذنب، عادوا بقلوبٍ منكِسرة وأيدٍ تحمل المال، وقالوا: *يا رسول الله، هذه أموالنا... خذها!*

في البداية، لم يأخذ النبي ﷺ منهم شيئًا.

ثم نزلت الآية

خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا (التوبة 103)

لتعلن مبدأً عجيبًا:

المال ليس مجرد أرقام... المال يمكن أن يكون **وسيلة تطهير**.

الصدقة ليست خسارة... بل إعادة ضبط للقلب

الآية تقول: **تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ**.

لاحظ الترتيب

تطهير: إزالة الأثر السلبي... الذنب، الشح، القسوة، التعلق المرضي بالمال.

تزكية: نمو وارتفاع... بركة في المال، وسمو في النفس.

كأن الصدقة تقول لك:

أنا لا آخذ منك... أنا أُعيد تشكيلك.

والمدهش؟

التطهير والتزكية تشمل أربع جهات... وكلها تستفيد!

صاحب المال

يُطهَّر من الشح.

يُزكَّى بالطمأنينة: لو احتجت يومًا، المجتمع لن يتركني.

المال نفسه

قد يختلط المال بشبهة دون أن نشعر.

الزكاة تعمل كفلتر روحي.

وهنا نفهم معنى قوله تعالى:

يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ (البقرة 276)

المعادلة الإلهية مختلفة عن الحساب البنكي.

الربا يزيد رقمًا... لكنه يمحق البركة.

الزكاة تُنقص رقمًا... لكنها تُنمّي الأثر.

الفقير

قد تظن أنه فقط مستفيد ماليًا.

لكن الحقيقة أعمق:

الصدقة تطهّر قلبه من الحقد،

وتزرع فيه شعور الانتماء.

لم يعد مهمّشًا... بل عضوًا مصونًا في جسد المجتمع.

المجتمع كله

حين يتحرك المال من يد إلى يد بعدل،

يقل الحسد... يقل الصراع... تقل الجرائم.

المال يتحول من سبب نزاع إلى جسر أمان.

بعين الأرقام... وبعين الإيمان

لو حسبنا 2.5% من ثروات مجتمع كامل تؤدى بصدق...

كم فقيرًا سيبقى محتاجًا؟

كم مريضًا سيبقى بلا علاج؟

كم شابًا سيبقى بلا تعليم؟

الزكاة ليست رقمًا صغيرًا...

هي شبكة أمان اجتماعي لو فُعِّلت كما ينبغي، لتغير وجه الاقتصاد.

الخلاصة... الصدقة إعادة تعريف للعلاقة بالمال

المال من الله.

الملكية أمانة.

الفقير شريك في الحق.

العطاء تطهير ونماء.

والمجتمع الإيماني يقوم على التكافل لا التفاخر.

الصدقة ليست فقط تحويل بنكي.

هي تحويل داخلي.

هي لحظة تقول فيها لنفسك:

أنا أكبر من أن أُختزل في ما أملك.

أول مرة تعطي فيها بوعي...

لن يتغير حسابك البنكي كثيرًا.

لكن شيئًا صغيرًا سيتغير في الداخل.

العطاء ليس حركة يد فقط.

هو حركة قلب.

حين تُخرج جزءًا مما تحب،

فأنت في الحقيقة تُعيد ترتيب علاقتك به.

لحظة الصراع

قبل أن تعطي، يحدث شدّ داخلي.

فكرة تقول: احتفظ به.

وفكرة أخرى تقول: أنفق.

هذا الصراع ليس حول المبلغ.

بل حول الثقة.

كل مرة تختار العطاء،

أنت لا تتخلى عن مال فقط...

بل تتخلى عن وهم السيطرة المطلقة.

ولهذا يشعر بعض الناس براحة غريبة بعد الصدقة.

راحة لا تُفسَّر بالحسابات.

كسر الأنانية بهدوء

الإنسان بطبعه يحب التملك.

يرتاح لما هو لي.

الإنفاق يدرّب النفس على توسيع الدائرة.

من لي

إلى لنا.

من احتياجاتي أولًا دائمًا

إلى هناك من يحتاج أيضًا.

وهذا التوسّع يخفف ثقل الذات.

الأنانية مرهقة.

تحمّل الإنسان عبء نفسه فقط.

أما العطاء، فيربطك بغيرك... ويخفف العزلة الداخلية.

أثر غير متوقع: انخفاض القلق

قد يبدو الأمر متناقضًا.

كيف يقل القلق حين أنقص من مالي؟

لكن القلق غالبًا لا يأتي من قلة المال،

بل من التعلق به.

حين تعطي بانتظام،

تُعيد تدريب قلبك على فكرة:

أنا لست محكومًا بما أملك.

وهذه الفكرة وحدها تخفف ضغطًا نفسيًا كبيرًا.

لأنك لم تعد تحرس كل شيء بخوف.

تجربة عملية: أسبوع العطاء الواعي

جرّب هذا:

لمدة سبعة أيام،

خصص مبلغًا — مهما كان بسيطًا —

وأعطه بوعي كامل.

قبل أن تعطي، توقف لحظة.

لاحظ التردد إن وُجد.

سمِّه: هذا خوف.

ثم أعطِ رغم وجوده.

بعد العطاء،

لاحظ شعورك.

لا تبحث عن نتيجة مادية.

ابحث عن الأثر الداخلي.

في نهاية الأسبوع، اسأل نفسك:

هل تغيّر شيء في نظرتي للمال؟

هل أصبح القرار أسهل قليلًا؟

التغيير لا يحدث دفعة واحدة.

لكنه يبدأ من تجربة صادقة.

العطاء يعيد تعريف الغنى

الغنى ليس أن تملك أكثر مما تحتاج.

بل أن يكون قلبك أوسع من خوفك.

حين تعطي،

أنت تقول لنفسك:

ما عندي ليس مصدر قيمتي.

أستطيع أن أُخرج منه... وأبقى مطمئنًا.

وهنا يتحول الإنفاق من فعل خارجي

إلى تدريب روحي عميق.

ليس الهدف أن تفرغ يدك،

بل أن تخفف تعلق قلبك.

الفصل الرابع

البركة... ليست أرقامًا

مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ

(البقرة 261)

قصة البداية: القهوة التي لم تُفسدها الأرقام

كان يعمل في وظيفة عادية، براتب يكفي بالكاد.

كل صباح، يمر على نفس المقهى، يطلب قهوته، ويدفع ثمنها بدقة. لا زيادة، ولا نقصان. حياته كانت منظمة... لكنها دائمًا على الحافة.

في أحد الأيام، بينما كان ينتظر دوره، رأى خلفه عامل نظافة يقلب النقود في يده، ثم أعادها إلى جيبه وتراجع. فهم دون أن يُقال شيء. التفت إلى البائع وقال بهدوء:

قهوة أخرى، من فضلك.

أخذ الرجل القهوة، نظر إليه بدهشة، وقال:

شكرًا... كنت بحاجة لها اليوم.

كانت لحظة صغيرة. ثمنها بسيط. ونُسيت سريعًا.

لكن ما لم يُنسَ... هو ما حدث بعدها.

في ذلك الأسبوع، تعطلت سيارته. توقع تكلفة كبيرة، لكنه اكتشف أن المشكلة بسيطة وأقل بكثير مما ظن.

وفي نفس الشهر، عرض عليه صديق فرصة عمل جانبية صغيرة، لم يكن يتوقعها، لكنها غطّت فجوة مالية كانت تؤرقه.

والأهم من ذلك... اختفى ذلك القلق الدائم الذي كان يلازمه آخر كل شهر.

لم يصبح غنيًا.

لم تمتلئ حساباته فجأة.

لكن شيئًا ما تغيّر.

لاحقًا قال:

لم تزد أرقامي... لكن نقصت مخاوفي.

هنا تبدأ قصة البركة.

مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (البقرة 261)

حين يُذكر الإنفاق، تُذكر المضاعفة.

سبعمائة ضعف.

ويخلفه.

يبارك لكم.

لكن عقولنا تميل فورًا إلى الحساب.

نعطي مئة... وننتظر ألفًا.

نتصدق... ونراقب الأرباح.

كأننا عقدنا صفقة.

وهنا يحدث سوء الفهم.

البركة ليست معادلة رياضية.

وليست وعدًا بزيادة فورية في الرصيد.

البركة أوسع من الرقم.

ماذا تعني البركة؟

البركة هي أن يعطيك الله في الشيء أثرًا أكبر من حجمه.

قد يكون المال قليلًا...

لكن يكفي.

وقد يكون الدخل متوسطًا...

لكن بلا قلق دائم.

وقد يأتيك رزق لم تخطط له أصلًا.

البركة تتعلق بالكفاية والطمأنينة،

لا بالكثرة المجردة.

كم من مال كثير بلا راحة.

وكم من مال محدود مع سكينة.

لماذا نسيء الفهم؟

لأننا نعيش في ثقافة الأرقام.

كل شيء يُقاس:

الأرباح، المتابعون، الإنجازات.

فنُسقط هذا المنطق على الغيب.

نريد أن نرى المضاعفة في كشف الحساب.

بينما قد تكون المضاعفة في:

صرف مصيبة

فتح باب فرصة

طمأنينة في قلب

تيسير في قرار

القرآن حين تحدث عن يخلفه لم يحدد صورة الخَلف.

لأنه أوسع من تصورنا الضيق.

التوازن الضروري

من الخطأ أن نقول:

كل من أنفق سيصبح غنيًا ماديًا.

كما أنه من الخطأ أن نقول:

لا علاقة للإنفاق بالحياة الدنيوية إطلاقًا.

الحقيقة بين الطرفين.

الله قد يوسع الرزق.

وقد يبارك في الموجود.

وقد يدخر لك الأثر في الآخرة.

وقد يجمع بين ذلك كله.

لكن الإنفاق عبادة أولًا...

ثم أثر بعد ذلك.

حين يتحول إلى استثمار مادي بحت،

يفقد معناه الروحي.

لماذا لا نرى البركة أحيانًا؟

سؤال صادق.

قد يعطي الإنسان ولا يرى زيادة واضحة.

بل قد تمر به ضائقة.

هنا يظهر الفرق بين من كان يعطي طلبًا للأجر،

ومن كان يعطي طلبًا للنتيجة الفورية.

الثقة الحقيقية لا تُختبر في الوفرة فقط،

بل في الاستمرار.

البركة ليست دائمًا في الزيادة،

أحيانًا تكون في الحماية.

حماية من إسراف.

حماية من فتنة.

حماية من قلق يأكل القلب.

إعادة تعريف الربح

لو نظرت للإنفاق فقط من زاوية الربح المادي،

فقد تربح... وقد تخيب.

لكن لو نظرت إليه من زاوية تشكيل القلب،

فأنت رابح في كل مرة.

لأنك في كل عطاء:

تُضعف سلطان الخوف

تُقوّي الثقة

تُوسّع المعنى في حياتك

وهذا ربح لا يُقاس بالأرقام.

البركة ليست رقمًا أكبر،

بل أثرًا أعمق.

حين تتحول الحبة إلى سبعمائة... فلسفة العطاء التي لا تخسر أبداً

تخيّل معي هذا المشهد البسيط:

فلاح يمسك **حبّة قمح** صغيرة... يضعها في الأرض... يدفنها... تختفي.

من بعيد قد يقول شخص سطحي:

يا رجل! لقد نقص مخزونك!

لكن الفلاح يبتسم

لأنه يعرف السر.

بعد أسابيع...

الحبة الواحدة تتحول إلى **سبع سنابل**...

وفي كل سنبلة **مئة حبّة**.

حبة واحدة = سبعمائة.

وهنا تأتي الآية التي تهزّ منطق البخل من جذوره:

مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (البقرة 261)

هذه ليست مجرد صورة بلاغية...

هذه قانون إلهي للاستثمار.

الإنفاق: خسارة أم استثمار طويل المدى؟

المعادلة القرآنية واضحة:

العطاء في سبيل الله = نموّ مضاعف.

ولاحظ التعبير: *في سبيل الله*

أي ليس أي إنفاق...

بل ما كان خالصاً لله، ووفق طريقه وشرعه.

الإنفاق قد يكون:

دعماً لمحتاج

تعليماً لطالب علم

تجهيزاً لمشروع نافع

نصرةً لحق

أو حتى كلمة حق في وقت يحتاجها الناس

كل هذا يدخل في سبيل الله

لماذا قد نخاف من العطاء؟

لأن النفس البشرية تعاني من مرض اسمه: **الشُح**.

الخوف من النقص.

الخوف من الغد.

الخوف من ماذا لو احتجت هذا المال؟

لكن القرآن يرد عليك بمنطق بسيط جداً:

إذا كانت الأرض — وهي مخلوقة — تعطيك سبعمائة ضعف...

فكيف بالخالق؟!

من التاريخ: هكذا فهم الصحابة المعادلة

حين نزلت آيات الإنفاق، لم يتعامل معها الصحابة كنص نظري.

أبو بكر الصديق جاء بكل ماله في غزوة تبوك.

عثمان بن عفان جهّز جيش العسرة بمئات الإبل والعتاد.

هل كانوا لا يفهمون الاقتصاد؟

بل كانوا يفهمون **اقتصاد السماء**.

لم يكن العطاء عندهم نقصاً...

بل ضماناً إلهياً.

بلاغة مذهلة: من هو الحبة؟

تأمل في جمال الصورة:

الآية تقول:

مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ... كَمَثَلِ حَبَّةٍ ...

العلماء ناقشوا:

هل الحبة تمثل الشخص؟

أم العمل؟

البلاغة هنا عبقرية.

المثل صالح للاثنين معاً:

المنفِق كزارع.

والإنفاق كالحبة.

وفي الحالتين... هناك نمو.

في الواقع الحديث: هل ما زال القانون يعمل؟

انظر إلى المجتمعات التي ينتشر فيها التكافل:

تقل فيها الجريمة

يقل الحقد الطبقي

يزيد الشعور بالأمان

حين يشعر الضعيف أن القوي يمد له يده...

لا يحقد عليه.

بل يدعو له.

تماماً كأهل الريف الذين يدعون للبهيمة التي يوزع صاحبها لبنها على الجميع

لأن خيرها مشاع.

المجتمع المتكافل = مجتمع مستقر.

لماذا ختمت الآية بـواالله واسع عليم؟

واسع...

أي واسع في:

رزقه

عطائه

رحمته

مضاعفته

عليم...

يعلم:

نيتك

إخلاصك

خبيئة قلبك

خوفك من الفقر

فالمضاعفة ليست عشوائية.

بل مرتبطة بالحكمة والنية.

رسالة ختامية: لا تتعامل مع الله بعقلية الخزنة

حين تزرع لا تبكي على البذرة.

حين تتصدق لا تبكي على الدرهم.

أنت لم تخسر...

أنت استثمرت.

والفرق بين المستثمر والبخيل؟

الأول يرى المستقبل.

والثاني يرى المخزن فقط.

فاسأل نفسك اليوم:

هل أنا أدفن الحبة خوفاً عليها؟

أم أزرعها ثقةً بمن خلق الأرض؟

لأن الحبة التي تُمسكها بيدك...

قد تكون سبعمائة تنتظرك عند الله.

الفصل الخامس

الإنفاق كاستثمار أخروي

مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ

(البقرة 245)

إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له (رواه مسلم)

العطاء الذي لا يتوقف... حتى بعد أن نتوقف

قصة البداية: اسمٌ لم يُمحَ

في أحد أحياء المدينة القديمة، كان هناك مصحف موضوع في زاوية المسجد.

صفحاته مستهلكة من كثرة التقليب.

وعلى الصفحة الأولى، بخط صغير بالكاد يُرى، كُتب:

وقف لله تعالى.

لا اسم واضح.

لا صورة.

لا لوحة رخامية.

فقط أثر.

شابٌ كان يجلس بعد المغرب يقرأ منه يوميًا.

لم يعرف من أوقفه.

لكن حياته تغيّرت به.

حفظ سورًا كاملة.

وجد سكينة في آيات كان يسمعها لأول مرة بقلب مفتوح.

وفي يوم من الأيام... أصبح هو نفسه معلّمًا للقرآن.

الشخص الذي وضع ذلك المصحف

ربما رحل منذ سنوات طويلة.

لكن حسناته... لم ترحل.

وهنا يبدأ معنى مختلف للعطاء.

ماذا يعني أن يستمر العطاء بعدك؟

معظم ما نملكه ينتهي بانتهائنا.

بيوت.

حسابات.

مناصب.

ذكريات.

لكن هناك نوعًا من العطاء... لا يخضع لهذا القانون.

عطاء يتحول إلى أثر مستمر.

إلى نهر يجري... حتى بعد أن يتوقف الجسد.

قال النبي ﷺ:

إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له (رواه مسلم)

انقطع عمله...

إلا من أشياء تركها تعمل بعده.

هذا هو الامتداد الحقيقي.

الصدقة الجارية... ليست حجمًا ضخمًا فقط

كثيرون يظنون أن الصدقة الجارية تحتاج مشروعًا كبيرًا.

مسجدًا كاملًا.

مستشفى.

بئرًا في قرية بعيدة.

نعم، هذا عظيم.

لكن الأثر المستمر قد يكون أبسط مما نظن:

مصحف في مسجد

كتاب نافع

مساهمة في تعليم طالب

دعم محتوى نافع ينتفع به الناس

زرع شجرة

أو حتى تربية ابن على الخير

الفكرة ليست في الضخامة.

بل في الاستمرار.

الفرق بين العطاء اللحظي... والعطاء الممتد

هناك عطاء يطعم إنسانًا ليوم.

وهذا خير عظيم.

وهناك عطاء يفتح باب رزق.

أو يعلم مهارة.

أو يبني وعيًا.

وهذا خير يتكرر.

ليس المطلوب أن يكون كل عطائك ممتدًا.

لكن أن يكون في حياتك نصيب منه.

لأن الإنسان بطبعه يحب أن يترك أثرًا.

والأثر الحقيقي... ليس ما يُذكر اسمك به.

بل ما ينتفع به الناس.

لماذا فكرة الامتداد تغيّر نظرتك للحياة؟

لأنها تخرجك من حدود اللحظة.

تجعلك تفكر:

ماذا سيبقى منـي؟

ماذا سيستمر بعدي؟

ما الأثر الذي أريد أن يحمل اسمي عند الله؟

حين تفكر بهذا الشكل،

يتغير تعريف النجاح.

لم يعد النجاح فقط في ما تجمع.

بل في ما تزرع.

العطاء كاستثمار أبدي

في الدنيا، تستثمر لتربح لاحقًا.

وفي الآخرة... الاستثمار أصدق.

قال الله تعالى:

إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له (رواه مسلم)

المضاعفة هنا لا تُقاس بزمن قصير.

بل بزمنٍ لا ينتهي.

كل مرة يُقرأ فيها حرف من مصحف أوقفته...

كل مرة يستفيد شخص من علم دعمته...

كل مرة يُدعى لك بظهر الغيب...

يُكتب لك أجر جديد.

وأنت ربما لا تعلم.

الأثر الخفي... أعظم مما نظن

أحيانًا لا ترى نتائج عطائك في حياتك.

لكنك تزرع بذورًا في أرض لا تعرف شكلها بعد.

قد يؤثر عطاؤك في شخص،

فيؤثر ذلك الشخص في عشرات،

ثم في مئات...

وأنت لم تقصد إلا خيرًا بسيطًا.

الأثر لا يسير في خط مستقيم.

بل ينتشر... كدوائر الماء.

كيف تبدأ أثرًا لا ينقطع؟

ليس بخطوة ضخمة.

بل بنيّة واضحة.

اسأل نفسك:

ما المجال الذي أحب أن أترك فيه أثرًا؟

تعليم؟

قرآن؟

رعاية أيتام؟

نشر علم؟

ثم ابدأ بخطوة تناسبك.

ولو صغيرة.

فالأثر لا يبدأ بحجم كبير.

بل يبدأ بإخلاص ثابت.

الحقيقة التي تغيّر نظرتك للموت

حين تفهم الصدقة الجارية،

يتغير معنى النهاية.

الموت لم يعد انقطاعًا تامًا.

بل انتقالًا... بينما بعض أعمالك تبقى تعمل.

وكأن حياتك امتدت في طرق لا تراها.

وهنا يصبح العطاء أكثر من عمل خير.

يصبح رسالة.

رسالة تقول:

مررت من هنا... وتركْت خيرًا.

الخاتمة التي تفتح بداية

في النهاية، كل ما تملكه سيبقى في هذه الأرض.

إلا ما أعطيته لله.

هو وحده الذي يعبر معك.

وهو وحده الذي يستمر لك.

فاسأل نفسك اليوم:

إذا توقفت حياتي فجأة...

ما الذي سيستمر لـي؟

لأن أجمل أنواع العطاء...

هو الذي لا ينتهي بانتهاءك.

الإنفاق في سبيل الله ليس مجرد فعل لحظة عابرة.

هو استثمار طويل المدى... ليس في البورصة، بل في قلبك، ونفسك، وعلاقتك بالله.

حين تنفق، أنت تزرع بذرة.

قد ترى أثرها اليوم... أو بعد سنوات... أو في الآخرة.

لكن الأثر موجود دائمًا، حتى لو لم يُحسب في الحال.

الفرق بين المصروف والمستثمر

المصروف: المال يُنفق فقط لتلبية حاجة عابرة، أو رغبة شخصية، أو التزامات يومية.

المستثمر: المال يُنفق بهدف أكبر، مستندًا إلى نية واضحة، وتخطيط واعٍ، وتأثير مستمر.

المستثمر يعرف أن العطاء المتكرر يُنتج نتائج أكبر من العطاء العشوائي، تمامًا كما في الحياة العملية أو الأعمال.

خطوات الاستثمار الأخروي

1. **حدد نسبة ثابتة من دخلك**

حتى لو كانت بسيطة، ثبات العطاء أهم من كثرته مرة واحدة.

2. **اختر مجالات بعيدة المدى**

دعم التعليم،

مشاريع خيرية مستمرة،

بناء مساجد أو مراكز خدمات،

أو حتى دعم المحتاجين بطريقة مباشرة مستدامة.

3. **راقب أثر العطاء**

ليس للربح المادي، بل للشعور بالرضا، والطمأنينة، ونمو الثقة بالله.

4. **اجعل العطاء عادة، لا استثناء**

كلما أصبح جزءًا من حياتك، قل شعور الخوف، وزاد شعور الأمان الحقيقي.

أثر الاستثمار الأخروي على القلب

التوازن النفسي: يخفف القلق الداخلي المرتبط بالمال.

النضج الروحي: يعلمك الصبر والانتظار.

توسيع دائرة الأثر: ترى الخير يمتد أبعد مما كنت تتخيل.

المستثمر الحقيقي لا يركز على العائد الفوري، بل على استدامة الأثر، على الراحة الداخلية، وعلى تحقيق معنى أكبر لحياته.

تجربة عملية: خطة 30 يوم للعطاء المستدام

اليوم 1-7: خصص مبلغًا صغيرًا يوميًا للصدقة الخفية.

اليوم 8-14: ضع جزءًا من دخلك الشهري لدعم مشروع مستمر.

اليوم 15-21: شارك جزءًا من وقتك أو مهارتك لمساعدة الآخرين.

اليوم 22-30: راجع شعورك الداخلي، ودوّن كيف تغيرت علاقتك بالمال.

في نهاية الشهر، ستلاحظ شيئًا مهمًا:

العطاء لم يعد حدثًا عابرًا، بل أسلوب حياة... واستثمارًا حقيقيًا لقلبك وروحك.

الخلاصة

المال وسيلة... لكن العطاء المستدام هو الذي يخلق فرقًا حقيقيًا.

حين تصبح الصدقة عادة واعية، يتحول المال من مجرد أرقام...

إلى أداة لبناء الأمان النفسي، والطمأنينة، والثقة بالله.

الفصل السادس

صباحٌ في السماء...
ودعاءان يتسابقان عليك

ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفا.

(رواه البخاري و مسلم)

تخيّل هذا المشهد...

الناس تستيقظ.

هواتف تُفتح.

رسائل تُراجع.

قهوة تُحضّر.

خطط اليوم تبدأ.

لكن... في السماء حدثٌ يوميٌّ أعظم من كل ذلك.

يقول الصحابي الجليل **أبو هريرة** رضي الله عنه إن رسول الله ﷺ أخبرنا أنَّه:

ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان...

ملكان. كل يوم.

ليس مرة في العمر.

ليس في رمضان فقط.

كل صباح. بلا استثناء.

أحدهما يرفع يديه إلى السماء ويدعو لك — نعم لك أنت — إن كنت من المنفقين:

اللهم أعطِ منفقًا خلفًا

والآخر يدعو... لكن الاتجاه مختلف:

اللهم أعطِ ممسكًا تلفًا

والسؤال الذي يطرق القلب:

أيُّ الدعاءين يُكتب لك هذا الصباح؟

ليس الموضوع فلوس وبس

كثيرون يحصرون كلمة *الخلف* في المال فقط.

يعني: تدفع 100… ترجع لك 200.

صفقة رابحة.

لكن ميزان السماء أوسع بكثير من ميزان السوق.

الله يقول في كتابه:

وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين (سبأ 39)

هل لاحظت؟

من شيء … أي شيء.

ويخلفه … بأي صورة شاء.

الخلف قد يكون:

صلاحًا في زوجتك وأولادك

بركة في مال قليل فيكفيك ويزيد

عافية في البدن

طمأنينة في القلب

انشراح صدر لا يُشترى بملايين

حبًّا في قلوب الناس

هداية في قرار مصيري

توفيقًا في لحظة حاسمة

وربما أعظم من ذلك كله…

ثوابًا مدّخرًا في الآخرة لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

الخلف الحقيقي... أرقام لا تظهر في كشف الحساب

قد ترى شخصين:

الأول حسابه بالملايين... لكنه قلق، متوتر، لا ينام مرتاحًا.

الثاني ماله محدود... لكنه مطمئن، بيته دافئ، قلبه ساكن.

من الغني فعلاً؟

الله يقول:

قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون (يونس 58)

خير مما يجمعون

كل ما يُجمع... ليس بالضرورة خير ما يُعطى.

وماذا عن التلف؟

هل هو خسارة مالية فقط؟

ليس بالضرورة.

التلف قد يكون:

مالًا يذهب فجأة بحريق أو سرقة

صفقة خاسرة

مال بلا بركة

صحة تذبل

علاقات تتفكك

قلبًا ضيقًا رغم وفرة الرصيد

قلقًا يفسد لذة كل شيء

أحيانًا أخطر أنواع التلف...

أن تملك كل شيء... ولا تشعر بطعم شيء.

قصة تهزّ القلب

رجل تاجر ثري، كتب شيكًا بخمسة آلاف ريال لترميم مسجد متصدع.

ثم في الطريق رأى أبناء صديقٍ له كان غنيًا جدًا... لكنه كان ممسكًا، لا ينفق.

توفي الأب.

وترك الملايين.

والأبناء اليوم يتنعمون بها.

التاجر صمت طويلًا...

ثم قال: أرجع بنا.

عاد 600 كيلومتر.

طرق باب إمام المسجد.

قال: أعطني الشيك... وسأرمم المسجد كاملًا.

ومن يومها فتح باب العطاء.

ثم قال بعدها بفترة:

كنت أظن مالي سينقص... لكنه تضاعف.

كنت أضرب في التجارة فلا أربح كثيرًا...

فلما أنفقت، تضاعفت الأرباح.

هل هو سحر؟

لا.

إنه دعاء الملك:

اللهم أعطِ منفقًا خلفًا.

معادلة السماء

الله يقول في سورة الليل:

فأما من أعطى واتقى (الليل 5)

وصدق بالحسنى (الليل 6)

فسنيسره لليسرى (الليل 10)

وأما من بخل واستغنى (الليل 8)

وكذب بالحسنى (الليل 9)

فسنيسره للعسرى(الليل 7)

لاحظ:

تيسير لليسرى.

وتيسير للعسرى.

الأمر أعمق من مال يزيد أو ينقص.

إنه مسار حياة.

أنفق أُنفق عليك

في الحديث القدسي:

أنفق أُنفق عليك (رواه مسلم)

ليست دعاية تحفيزية.

ليست عبارة تنمية بشرية.

إنها وعد رباني.

حتى التمرة...

قال النبي ﷺ **إن الله يربيها لصاحبها حتى تصير مثل الجبل يوم القيامة**.(رواه البخاري و مسلم)

تخيّل أن صدقة بريال...

تلقاها يوم القيامة كجبل في ميزانك.

وفي ذلك اليوم...

لا ينفع رصيدك البنكي.

ولا عدد ممتلكاتك.

ولا استثماراتك.

ينفعك فقط:

ما قدّمته.

وقفة شخصية

قبل أن تغلق هذا الفصل...

اسأل نفسك:

هل أنفقت اليوم؟

هل أخرجت زكاة مالك كاملة؟

هل قصّرت في نفقة واجبة؟

هل يوجد شخص ينتظر عطاءك وأنت تؤجّل؟

غدًا صباحًا...

سينزل الملكان مرة أخرى.

وسيرتفع الدعاء مرة أخرى.

وأنت...

اختر أي دعاء تحب أن يُرفع باسمك.

الخلاصة بنكهة سوشيال ميديا

الإنفاق لا يُنقص المال... ينزع عنه الخوف.

البخل لا يحفظ المال... يحفظ القلق.

الخلف ليس رقمًا... بل بركة.

التلف ليس خسارة مالية فقط... بل خسارة حياة.

ميزان السماء لا يقيس كما نقيس.

كن من أهل الدعاء الأول.

ليكن صباحك دائمًا ممهورًا بـ:

اللهم أعطِ منفقًا خلفًا

نسأل الله أن يجعلنا من المنفقين، وأن يعيذنا من الشح والبخل، وأن يبارك لنا في أرزاقنا الظاهرة والباطنة.

الفصل السابع

تمرة... بحجم جبل

مَن تَصدَّقَ بِعِدْلِ تمرةٍ مِن كَسْبٍ طَيِّبٍ – ولا يقبلُ اللهُ إلا الطَّيِّبَ – وإنَّ اللهَ يَتقبَّلُهَا بيمينِهِ، ثم يُربِّيها لِصَاحِبِه، كما يُربِّي أحَدُكم فَلُوَّه، حتى تكونَ مثلَ الجَبَلِ

(رواه البخاري و مسلم)

في عالمٍ يُقاس فيه كل شيء بالأرقام الكبيرة...

المشاريع العملاقة، التبرعات المليونية، الحملات الضخمة...

يأتي هذا الحديث ليقلب الموازين بهدوءٍ عجيب:

تمرة.

ليست سلة طعام.

ليست حسابًا مصرفيًا ممتلئًا.

ليست حملة موسمية.

تمرة.

لكنها من كسبٍ طيب.

وهنا يبدأ السرّ.

ليس السؤال: كم أعطيت؟

بل: من أين أعطيت؟ ولمن أعطيت؟

قال ﷺ: **ولا يقبل الله إلا الطيب**

قاعدة تهزّ القلب.

الله طيب...

فلا يصعد إليه إلا طيب.

كما في رواية البخاري: **ولا يصعد إلى الله إلا الطيب**

الطيب هنا ليس فقط نقاء المال،

بل نقاء الطريق، ونقاء النيّة، ونقاء القلب.

- مال حلال
- نيّة خالصة

- لا رياء
- لا منّ ولا أذى

قال تعالى:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ (البقرة 254)

تأمل ما كسبتم.

تعبك، سعيك، جهدك، عرقك...

ثم تُخرج منه شيئًا لله.

ولهذا قال بعض العلماء: ذِكر الكسب فيه إشارة إلى مشقة التحصيل... وكأنك حين تتصدق، تُخرج قطعةً من تعبك، لا مجرد مال.

المفاجأة الكبرى: الله يتولاها بنفسه

فإن الله يتقبلها بيمينه

أمرٌ عظيم.

ليس مجرد تسجيل حسنة.

ليس مجرد مضاعفة رقم.

بل قبولٌ خاص. عناية. تربية.

وأهل السنة يمرّون هذا كما جاء، بلا تحريف ولا تشبيه، كما قال الإمام مالك:

أمِرّوها كما جاءت بلا كيف، مستحضرين قوله تعالى:

لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (الشورى 11)

الفكرة ليست في كيف،

بل في كم هو عظيم هذا القبول.

تخيّل...

أنت تعطي تمرة.

والله يتولاها.

أي شرفٍ هذا؟

التربية الإلهية: مشروع طويل الأمد

ثم يُربيها لصاحبه

لم يقل: فيضاعفها فورًا.

قال: **يربّيها.**

النبي ﷺ لم يختر كلمة عابرة.

اختار صورة حيّة:

كما يربي أحدكم فلوّه

الفَلُوّ هو صغير الفرس.

وكل من عرف الخيل يعرف كم تُعتنى صغارها:

رعاية، متابعة، اهتمام، حماية، انتظار...

لا يصبح قويًا في ليلة.

بل يكبر يومًا بعد يوم.

وهكذا صدقتك.

ربما نسيتها أنت.

لكنها لم تُنسَ هناك.

تنمو.

تكبر.

تُزاد.

تُبارك.

حتى تكون...

مثل الجبل

ليس كالحصاة.

ولا كالشجرة.

بل كالجبل.

هنا نفهم آية البذرة

قال تعالى:

مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (البقرة 261)

بذرة واحدة.

ثم سبع سنابل.

ثم مئات الحبوب.

القرآن يتكلم بلغة الزراعة.

والحديث يتكلم بلغة التربية.

والنتيجة واحدة:

الله لا يتعامل مع الصدقة بمنطقنا الحسابي.

نحن نقول: 1 + 1 = 2

والسماء تقول: 1 بإخلاص = ما شاء الله أن يكون.

لماذا الصدقة تحديدًا تُربّى؟

قال تعالى:

يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ (البقرة 276)

تأمل المقابلة:

يمحق...

ويربي...

الربا يبدو كثيرًا لكنه ممحوق البركة.

والصدقة تبدو ناقصة لكنها مزروعة في أرض السماء.

الربا يُنتفخ.

والصدقة تنمو.

الفرق عظيم بين الانتفاخ والنماء.

لا تحتقر التمرة

ربما تقول:

ماذا ستفعل صدقتي الصغيرة؟

السؤال الخطأ.

السؤال الصحيح:

ماذا سيفعل الله بها؟

رب تمرةٍ

تسبق آلافًا من غيرها.

رب صدقةٍ خفية

كانت سبب نجاة.

رب مبلغ بسيط

وُضع في يد محتاج

فكان بينك وبين النار سترًا.

قال ﷺ:

اتقوا النار ولو بشق تمرة

شق تمرة فقط...

قد تكون حاجزًا بينك وبين النار.

أي منطق رحمةٍ هذا؟

الصدقة تربيك أنت أيضًا

ليس فقط الأجر هو الذي يكبر.

أنت تكبر.

كلما أخرجت شيئًا من مالك:

انكسر تعلّق،

وخفت قبضة الدنيا على قلبك،

واقتربت خطوة من الحرية.

ولهذا قال بعض أهل العلم:

الصدقة تحتاج تربية من الله؛

لأن النفس تحب المال بطبعها.

أنت تعطي تمرة،

لكن في الحقيقة...

أنت تعطي جزءًا من تعلقك.

مشهد يوم القيامة

تخيّل الميزان.

حسنات متناثرة هنا وهناك.

ثم توضع تمرة.

لكنها ليست كما خرجت من يدك.

ليست صغيرة.

ليست منسية.

جبل.

وأنت تنظر...

وتتذكر لحظة إخراجها،

ربما وأنت لا تظن لها شأنًا.

وهنا تفهم معنى قوله تعالى:

وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (الجمعة 4)

الفضل العظيم...

أن يعطيك الله فوق ما تستحق،

وبما لا يخطر لك على بال.

خاتمة الفصل

لا تنتظر أن تملك الكثير لتبدأ.

ابدأ بالقليل.

لكن ليكن طيبًا.

ليكن خالصًا.

ليكن بينك وبين الله.

لا تبحث عن إعجاب الناس،

بل عن قبول السماء.

فربما

في زاوية من ميزانك يوم القيامة

تقف تمرة...

كبرت بصمت،

وتحوّلت — بعناية الرحمن —

إلى جبل.

كيف نطبّق الحديث في حياتنا اليوم؟

لا تحتقر القليل

ريال، دينار، قطعة خبز، قارورة ماء

تحويل بنكي بسيط، صدقة إلكترونية، إطعام طير

طالما من حلال وبنيّة صادقة ← **عند الله كبير**.

راقب من أين قبل كم

الحديث يربّي فينا حسًّا عاليًا:

هل هذا المال طيب؟

هل فيه شبهة؟

الحرص على الحلال جزء من العبادة نفسها.

الصدقة الخفيّة كنز

الصدقة التي لا يعلم بها أحد—إلا الله—أقرب للإخلاص،

وقد تكون هي التمرة التي تصير جبلًا.

من مواقف السلف:

كان بعضهم **يتصدّق بالكسرة من الخبز** ويقول:

ربّ كسرة سبقت ألف دينار.

وكانوا يفرحون بالصدقة الصغيرة أكثر من الكبيرة،

لأنهم يرجون فيها الإخلاص التام.

رسالة قلبية:

لا تقل: ماذا تُغيّر صدقتي الصغيرة؟

بل قل: **كيف سيُنمّيها الله؟**

أحيانًا تمرة واحدة

تكون سبب نجاتك يوم القيامة !

الفصل الثامن

الصدقة... منطق السماء لا منطق الأرقام

ما نقص مالٌ من صدقةٍ

(أخرجه مسلم)

حين يربّينا النبي ﷺ على الشجاعة المالية

في زمنٍ تتسارع فيه الأسعار،

وتضيق فيه الأرزاق،

ويصبح الغد سؤالًا مفتوحًا في صدور كثير من الناس...

يأتينا صوت النبي ﷺ هادئًا، واثقًا، مطمئنًا

ما نقص مالٌ من صدقةٍ (أخرجه مسلم)

حديث قصير...

لكنّه كفيل أن يعيد ترتيب علاقتك بالمال، وبالناس، وبنفسك.

الصدقة... منطق السماء لا منطق الأرقام

العقل الحسابي يقول

إذا أعطيتَ نقصَ مالُك

لكن الوحي يقول

يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ (البقرة 276)

ويقول سبحانه

وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ (سبأ 39)

كأن الله يخاطب قلقك مباشرة

أنت ترى الرقم ينقص،

وأنا أرى البركة تزيد

في زمن القلق المالي...

نحن نعيش واقعًا فيه

دخل غير مستقر

التزامات متراكمة

خوف صامت من المستقبل

في هذا الجو، تأتي الصدقة كقرار شجاع يقول

لن يقودني الخوف... سيقودني اليقين

القلق يقول

أمسك... قد تحتاج.

الإيمان يقول

أعطِ... فالله لن يضيّعك.

ولهذا ليست الصدقة مجرد إخراج مال،

بل هي تربية قلب على

التوكّل

الثقة

السكينة

كم من إنسان زاد دخله... ولم تزد طمأنينته؟

لأن البركة لا تُشترى... بل تُستجلب بالطاعة.

كيف نعيش هذا الحديث اليوم؟

صدقة رغم الضيق

أقوى الصدقة ليست حين يكون الحساب ممتلئًا،

بل حين تعطي وأنت محتاج.

قال تعالى

وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ (الحشر 9)

هنا يتحقق المعنى الحقيقي

لن ينقص.

اجعل الصدقة خط أمان

كما تضع

مدخرات للطوارئ

ضع

صدقة ثابتة في حياتك

لكن هذه تحفظك عند الله.

قال ﷺ

اتقوا النار ولو بشق تمرة

ليست القيمة في الكمية...

بل في الصدق.

لا تنتظر الأثر الفوري

قد لا ترى زيادة مباشرة في

الراتب

الحساب البنكي

لكن سترى

صرف بلاء

تسهيل أمر

لطفًا خفيًا

وكم من بلاء دُفع عنك... ولم تعلم.

رسالة إلى قلبك

قد تخاف أن تعطي...

وقد تتردد أن تعفو...

وقد تجد صعوبة في التواضع...

لكن تذكّر

الله لا يُخلف وعده.

لن يفقرك بسبب صدقة.

لن يذلك بسبب عفو.

لن يخفضك بسبب تواضع.

بل سيرفعك...

ويعزّك...

ويبارك لك.

قال ﷺ في الحديث القدسي

يا ابن آدم، أنفق أُنفق عليك

فأعطِ بثقة،

واعفُ بعزة،

وتواضع بطمأنينة.

وامشِ في هذه الدنيا مطمئنًا...

فمن كان الله معه،

فلن يُضيّعه الله أبدًا

السر الذي لا يفهمه كثيرون... لماذا لا تنقص الصدقة المال؟

تخيّل هذا المشهد.

شخص فتح تطبيق تحويل الأموال في هاتفه...

يريد أن يتبرع بمبلغ بسيط لمحتاج أو لمشروع خيري.

وقبل أن يضغط زر **إرسال** يأتيه صوت داخلي يقول

لا تتبرع... قد تحتاج هذا المال لاحقًا.

هذا الصوت ليس جديدًا.

إنه الصوت الذي تحدث عنه القرآن قبل أكثر من **1400 سنة**.

قال الله تعالى

الشيطان يعدكم الفقر (البقرة 268)

وكأن الرسالة التي يكررها دائمًا هي

إذا أعطيت... ستخسر.

لكن النبي ﷺ كشف الحقيقة بكلمات قصيرة وعميقة

ما نقصت صدقة من مال.

هذه الجملة ليست مجرد نص ديني...

إنها **قانون من قوانين الحياة.**

عندما يعطي الإنسان... ماذا يحدث فعلاً؟

لو نظرنا للأمر بحسابات الرياضيات البسيطة

100 – 10 = 90

إذن المال نقص.

لكن الحياة ليست مجرد آلة حاسبة.

هناك شيء اسمه **البركة.**

وهذا ما أشار إليه العلماء عبر القرون

الصدقة قد تُنقص **العدد** لكنها تزيد **القيمة**.

وكأن المال بعد الصدقة يصبح مثل هاتف قديم...

لكن بطارية عمرها لا ينتهي.

قصة صغيرة من الحياة

يحكي أحد التجار أنه كان يضع صندوقًا صغيرًا للصدقة في متجره.

كل صباح يضع فيه مبلغًا بسيطًا.

لم يكن المبلغ كبيرًا... لكنه كان ثابتًا.

بعد سنوات لاحظ شيئًا غريبًا.

بينما أغلقت محلات كثيرة حوله...

كان متجره يزداد نجاحًا.

قال مرة

لا أعرف كيف... لكن كلما تصدقت أكثر... فتح الله لي أبواب رزق لم أتوقعها.

هذه ليست قصة نادرة.

بل هي تجربة تتكرر مع آلاف الناس.

تجربة من التاريخ

كان بعض السلف إذا رأى فقيرًا يطلب المال يقول له مبتسمًا

مرحبًا بمن ينقل أموالنا من الدنيا إلى الآخرة.

كأنهم كانوا يرون الصدقة **عملية تحويل بنكي... لكن إلى حساب أبدي.**

المال لا يختفي.

بل ينتقل من حساب **الدنيا المؤقت**

إلى حساب **الآخرة الدائم**.

الصدقة لا تنقص المال

أخطر باب قد يفتحه الإنسان

هناك تحذير آخر في الأحاديث.

قال النبي ﷺ

أي أن الاعتماد على سؤال الناس قد يفتح بابًا من الفقر.

ولهذا قال ﷺ

لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب خير له من أن يسأل الناس (رواه البخاري)

بمعنى بسيط

العمل البسيط بكرامة

أفضل من الغنى بالسؤال.

الناس في الدنيا أربعة أنواع

في حديث عجيب لخص النبي ﷺ حال البشر في **أربع فئات فقط**

شخص لديه مال وعلم

يعرف كيف يستخدم ماله.

يتصدق...

يصل رحمه...

يفعل الخير.

هذا في **أفضل المنازل**.

شخص لديه علم لكن بلا مال

يقول بصدق

لو كان لدي مال لفعلت الخير مثل فلان.

النبي ﷺ قال

أجرهما سواء.

النية الصادقة قد ترفعك إلى نفس الأجر.

شخص لديه مال بلا علم

يصرف المال في الخطأ...

لا يهتم بالخير...

ولا بحقوق الناس.

هذا في **أسوأ المنازل**.

شخص بلا مال ولا علم

لكنه يتمنى الشر.

يقول

لو كان لدي مال لفعلت مثل فلان في الفساد.

هذا يكتب له **نفس الإثم بالنية**.

وهنا تظهر قوة النية.

قصة الشاة... التي بقيت كلها

ذبح أهل النبي ﷺ شاة.

فجاء النبي ﷺ وسأل السيدة عائشة

ماذا بقي منها؟

قالت

بقي كتفها فقط.

فقال النبي ﷺ

بقيت كلها إلا كتفها. (رواه الترمذي)

لماذا؟

لأن ما تم توزيعه صدقة **هو الباقي الحقيقي.**

أما ما بقي في البيت... فسوف يُؤكل وينتهي.

السر الذي لا يفهمه كثيرون

الحياة ليست فقط بما **تملك.**

بل بما **تعطي.**

البركة... القوة غير المرئية

هناك شيء لا يظهر في الحسابات.

اسمه **البركة.**

البركة هي السبب الذي يجعل شخصًا يعيش بسعادة وراحة بمال قليل...

بينما آخر يمتلك ثروة كبيرة لكنه يشعر دائمًا أن المال يتبخر من يديه.

كم من الناس يملكون الكثير...

لكن المال يختفي فجأة في مشاكل أو خسائر أو مصاريف لا تنتهي.

وكم من الناس يملكون القليل...

لكنهم يعيشون حياة مستقرة ومطمئنة.

الفرق غالبًا ليس في الرقم.

الفرق في **البركة.**

والصدقة من أعظم أبوابها.

خلاصة الفصل

الصدقة ليست خسارة... بل استثمار.

تجربة تتكرر مع آلاف الناس

اسأل أي تاجر ناجح عن سر من أسرار رزقه.

كثير منهم سيخبرك بشيء متكرر

كلما أعطيت... عاد إليك أكثر.

أحد التجار كان يضع مبلغًا صغيرًا يوميًا في صندوق صدقة داخل متجره.

مبلغ بسيط جدًا.

لكن بعد سنوات لاحظ شيئًا عجيبًا.

كلما مرت الأزمات التجارية...

كان متجره ينجو منها بطريقة غير متوقعة.

قال مرة

لا أستطيع تفسير الأمر... لكنني متأكد من شيء واحد الصدقة تحمي المال.

وهذه ليست قصة واحدة.

إنها تجربة يكررها الناس عبر القرون.

يقول ﷺ **ما نقص مالٌ من صدقةٍ، وما زاد الله عبدًا بعفوٍ إلا عزًّا، وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه** (أخرجه مسلم)

فالصَّدقات يزيد الله بها الأموال، ويُنزل بها البركة، ويُعَوِّض الله فيها صاحبها الخير العظيم، والتواضع لله وعدم التَّكبر من أسباب الرفعة في الدنيا والآخرة، والعفو عن المظالم، والصّفح والعفو عن أخيه إذا أساء إليه فيه خيرٌ عظيمٌ ما زاد الله عبدًا بعفوٍ إلا عزًّا، ومَن ظُلِمَ مظلمةً فله أجرٌ عظيمٌ.

حسنًا

خلّينا نختمها **ربطًا عميقًا بواقعنا اليوم**... واقع القلق والغلاء والخوف من الغد.

الحديث في زمن القلق المالي

نحن نعيش زمنًا

الأسعار فيه ترتفع

الدخل فيه ثابت أو غير مستقر

والخوف من المستقبل حاضر في القلب

في هذا الجو، يجيء حديث النبي ﷺ كـ **طمأنة ربّانية**

ما نقصت صدقةٌ من مال

كأن الرسول ﷺ يقول لك

أعلم خوفك...

لكن لا تجعل الخوف يقودك،

اجعل **اليقين** يقودك.

لماذا الصدقة علاج للقلق؟

لأن القلق يقول

أمسك... قد تحتاج

والصدقة تقول

الله موجود... لن يضيعك

فالصدقة ليست فقط إخراج مال،

بل **تربية قلب** على

التوكّل

الثقة

السكينة

ولهذا كثير من الناس

زاد دخله

ولم تزد طمأنينته

لأن البركة لا تُشترى.

كيف نعيش الحديث عمليًا اليوم؟

صدقة رغم الضيق

أقوى الصدقة

حين تعطي وأنت محتاج

حين تعطي وأنت قلق

وهنا يتحقق معنى

لن ينقص

اجعلها خط أمان

كما تضع

مدخرات للطوارئ

ضع

صدقة للطوارئ

لكن هذه **تحفظك عند الله**.

لا تربط العطاء بالزيادة الفورية

قد لا ترى أثرًا مباشرًا

في الحساب

في الراتب

لكن سترى

دفعًا

تسهيلًا

لطفًا خفيًا

وهذا هو الوعد.

رسالة أخيرة للقلب

قد تخاف أن تعطي...

لكن **لن تندم على صدقة خرجت لله**

وإن ندمت يومًا... فسيندم من **أمسك** لا من أعطى.

أعطِ بثقة،

وامشِ مطمئنًا،

فالله أكرم من أن يُفقِر عبدًا

بسبب صدقة.

ربط الله على قلبك، وبارك لك في القليل والكثير، وجعل لك في كل عطاء عوضًا ونورًا

الفصل التاسع

الصدقة... قرض حسن مع الله

إِنَّ ٱلۡمُصَّدِّقِينَ وَٱلۡمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقۡرَضُواْ ٱللَّهَ
قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعَفُ لَهُمۡ وَلَهُمۡ أَجۡرٞ كَرِيمٞ

(الحديد 18)

هل سبق لك أن شعرت أن عطاءك للآخرين كان أكثر من مجرد مال؟ أن كل ريال أو لقمة تمرّ بها اليوم يمكن أن تتحول إلى **استثمار في قلبك وروحك، وأجر مضاعف عند الله؟**

القرآن الكريم يذكّرنا بذلك بطريقة ساحرة جدًا:

إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ (الحديد 18)

لاحظ الكلمات: **أقرضوا الله قرضًا حسنًا**... أليس غريبًا أن تقول الآية أنك تقرض الله بينما هو الغني سبحانه وتعالى؟

السر هنا: الله يريد أن يُظهِر لنا أن أجر الصدقة مضمون **تمامًا** كما يُضمن القرض. والجميل أن هذا القرض الحسن لا ينقص المال ولا يضيف أي عبء على صاحب الصدقة، بل بالعكس:

أجر مضاعف: عشرة أضعاف، أو أكثر، حسب علم الله.

أجر كريم: ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

قصة صغيرة لتقريب الفكرة

تخيل: أحدهم أعطى فقيرًا فقط تمرتين، سرًّا، وهو يقول في قلبه: اللهم ابتغاء وجهك... بعدها، شعر براحة لم يشعر بها من قبل، ورزقه الله رزقًا غير متوقع، ربما عملاً جديدًا، أو فرصة خير لم يكن يتخيلها.

هذه هي **البركة**: تبدأ في قلبك ثم تمتد إلى حياتك.

شروط الصدقة الحقيقية

لكي تكون صدقتك **قرضًا حسنًا عند الله**، هناك شرطان مهمان:

1. **الإخلاص لله عز وجل**

- إذا أنفقت مالك لتُرى الناس فقط، فهي رياء، ولن تقبل.
- كما قال الله تعالى في الحديث القدسي:

أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه

2. **المتابعة لرسول الله ﷺ**

- صدقتك يجب أن تكون وفق ما أرشدنا إليه النبي ﷺ، لا بمزاج شخصي أو بدعة.

خريطة عملية للصدقة والبركة

يوميًا

الهدف: بناء عادة يومية صغيرة مستمرة

أمثلة:

- ريال أو دولار يوميًا ← صدقة نقدية
- تمر، لقمة، ماء ← إطعام محتاج أو طير
- دعاء مع الصدقة:

اللهم تقبلها وبارك لي فيها وزدني منها

الفائدة: طمأنينة القلب، تدريب على الإخلاص، تربية عادة العطاء.

أسبوعيًا

الهدف: زيادة ملموسة في البركة

أمثلة:

- 5–10% من مصروف الأسبوع ← صدقات
- مساعدة يتيم أو محتاج

o أدوات مدرسية أو أدوية

الفائدة: تجربة بركة المال، شعور بالرضا الداخلي، تأمين على الرزق.

شهريًا / دوري

الهدف: تطهير المال واستثمار طويل الأجل

أمثلة:

- o الزكاة: 2.5% من المال ← تطهير المال
- o دعم جمعية خيرية ثابتة
- o صدقة خفية مستمرة ← أجر دائم

الفائدة: مضاعفة الأجر، قرب من الله، تطهير النفس والمال.

النية قبل كل صدقة

قل دائمًا:

اللهم هذه صدقة من مال طيب، ابتغاء وجهك، تطهيرًا لنفسي ومالي، وزيادة في حسناتي، ولقاء رضوانك.

التأمل بعد الصدقة

لاحظ راحة قلبك وطمأنينة نفسك

لاحظ تسهيل أمورك اليومية

تذكر وعد الله: المال لا ينقص، والأجر يتضاعف، والبركة مستمرة

الربط بين اليوم والأجر في الآخرة

الزمن

اليوم

الأسبوع

الشهر/العام

تذكر: الصدقة ليست مجرد مال تُعطى للآخرين، بل **استثمار مباشر مع الغني الحميد**، وأقصر طريق لراحة القلب والبركة في الحياة والآخرة.

الفصل العاشر

ثقافة الاستهلاك ضد ثقافة العطاء

وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً

(الفرقان 67)

في زمن الإعلانات، والعروض المغرية، والشراء بضغطة زر... نحتاج أن نتذكّر هذا الميزان القرآني الجميل:

وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً (الفرقان 67)

القرآن لا يطلب منك أن تحرم نفسك من النعم،

ولا يشجّعك على إنفاق المال بلا حساب.

بل يعلّمنا طريقًا أعمق وأجمل: **الاعتدال.**

أن تنفق... ولكن بوعي.

أن تستمتع... ولكن بلا إسراف.

أن تدّخر... ولكن بلا بخل.

في واقع حياتنا قد يظهر هذا التوازن في أمور بسيطة:

عندما تشتري ما تحتاجه فعلًا، لا ما تفرضه عليك الإعلانات.

عندما تستمتع بالسفر أو الطعام أو المشتريات دون أن تثقل نفسك بالديون.

عندما تضع جزءًا من مالك للادخار، وجزءًا للعطاء والصدقة.

عندما تنفق على نفسك وأهلك بكرم، دون أن يتحول الكرم إلى تبذير.

الاعتدال في الإنفاق ليس مجرد مسألة مال،

بل هو **أسلوب حياة** يخلق الطمأنينة والبركة.

فالإسراف قد يجلب القلق والديون،

والبخل قد يحرمك من جمال النعمة،

أما الطريق الوسط فهو الذي يجعل المال **وسيلة للعيش بسلام وتوازن.**

لهذا كان وصف عباد الله الصالحين أنهم يعيشون بهذا الميزان الدقيق:

لا إفراط... ولا تفريط...

بل حياة متوازنة يبارك الله فيها

عالمنا اليوم مليء بالصخب.

الإعلانات تحاصرنا في كل زاوية: اشترِ لتصبح أفضل،

ووسائل التواصل تصوّر حياة الآخرين وكأنها معيار النجاح: سيارات، ملابس، رحلات... كل شيء أكبر وأغلى.

في هذا الجو، يصبح المال مقياسًا للإنجاز والهوية.

ويصبح العطاء فعلًا شاقًا، أحيانًا مرفوضًا داخليًا.

الضغط النفسي

حين ترى ما يملكه الآخرون، يظهر شعور:

ماذا لو لم يكفني ما عندي؟

هل أنا متأخر؟

هل سأخسر إن أنفقت؟

هذا الضغط يثير القلق، ويجعل فكرة الإنفاق تبدو مخاطرة.

هنا تتضح المعركة الحقيقية:

المال بين أيدينا... والقلب بين يدينا أيضًا.

العطاء كهوية

الإنفاق ليس مجرد فعل، بل رسالة.

حين تعطي، أنت تقول لنفسك:

أنا أملك، لكنني لا أُعبد بالمال.

أنا أستطيع أن أُخرج دون أن أخسر هويتي.

العطاء يعيد ترتيب أولوياتك.

يجعلك أكثر وعيًا بما تحتاج إليه، وما هو كافٍ للعيش، وما يمكن أن يُستخدم لفائدة الآخرين.

كيف تصنع عادات العطاء في عالم الاستهلاك

1. **حدد نسبة ثابتة للإنفاق**

حتى لو مبلغ بسيط، اجعله عادة.

الاستمرار أهم من الكثرة.

2. **ابدأ صغيرًا، ثم توسع تدريجيًا**

المال الكبير بدون تدريب على العطاء غالبًا يخاف منه القلب.

3. **ضع هدفًا معنويًا**

ركز على أثر العطاء: تخفيف معاناة، إسعاد محتاج، تعليم... لا على المكسب المادي.

4. **راقب شعورك**

لاحظ الصراع الداخلي قبل العطاء، ومشاعر الاطمئنان بعده.

التأمل في هذا الشعور يُعيد ترتيب قلبك تدريجيًا.

الأمثلة الواقعية

موظف يبدأ بالصدقة الشهرية لمستحقيها، رغم دخله المتوسط، فيكتشف أنه أقل قلقًا على نفسه وأسرته.

تاجر يخصص جزءًا من أرباحه لمشاريع خيرية، ويكتشف أن إدارة المال تصبح أكثر هدوءًا وذكاءً.

عائلة صغيرة تعلم الأطفال العطاء منذ الصغر، فتصبح عادة لا تستنفذ الموارد، بل تُوسّع دائرة القيم.

التوازن بين التخطيط والعطاء

الإنفاق الواعي لا يعني التهور.

لا يعني تفريغ الحسابات.

ولا تجاهل المسؤوليات المالية.

الإنفاق الواعي هو:

تخطيط مع قلب مفتوح

حساب مع حرية

عقلانية مع ثقة

حين يتحقق هذا التوازن، تصبح عادة العطاء صلبة.

تصبح المقاومة الداخلية أقل، والخوف أقل.

ويظهر أثر البركة الحقيقي في حياتك اليومية.

الخلاصة

في زمن يروّج للاستهلاك، العطاء يصبح فعلًا مقاومًا.

مقاومة للضغط الاجتماعي.

مقاومة للتعلق المفرط بالمال.

مقاومة للخوف المزيف من النقص.

حين نمارس العطاء في هذا السياق، لا نغير فقط ما حولنا...

بل نغير أنفسنا، خطوة بخطوة.

الفصل الحادي عشر

يدٌ بين القَبْض والبَسْط...
فلسفة التوازن في زمن الاستهلاك

وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومًا مَّحۡسُورًا

(الإسراء 29)

في زحمة العروض، والتخفيضات، و اشترِ الآن وادفع لاحقًا، يأتي القرآن

ليقول لك بهدوء عميق:

تمهّل... لا تكن شحيحًا، ولا تكن مسرفًا. كن إنسانًا متوازنًا.

يقول الله تعالى في القرآن الكريم:

وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومًا مَّحۡسُورًا

(الإسراء 29)

آية قصيرة... لكنها تختصر فلسفة مالية كاملة.

لا تكن نسخة الوضع الاقتصادي الصامت

ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك

تخيّل شخصًا يده مربوطة بسلسلة إلى عنقه. لا يستطيع أن يمدّها. لا يعطي. لا يساعد. لا يواسي.

هذه صورة البخيل.

البخل ليس مجرد امتناع عن الدفع...

هو امتناع عن المشاركة في الحياة.

ويُروى عن رجلٍ من أهل المال في التاريخ، أنه كان يملك ثروة كبيرة، لكنه كان يُغلق أبوابه في وجه أقاربه، ويتهرّب من مساعدة المحتاجين.

فلما مات... لم يحضر جنازته إلا القليل.

ليس لأنه لم يكن معروفًا...

بل لأنه لم يكن موجودًا في حياة أحد.

البخيل يملك المال، لكن المال يملكه.

يمسك خوفًا من الفقر، فيعيش فقير القلب.

وفي الواقع؟

كم من أب يضيّق على بيته رغم سعته...

كم من شخص يمتنع عن مساعدة قريب محتاج بحجة الظروف صعبة وهو قادر...

وفي زمننا الرقمي...

تجد من يتابع قصص المحتاجين يوميًا على وسائل التواصل، يتأثر... يكتب "الله يعينهم"، ثم يغلق التطبيق دون أن يمدّ يده بشيء.

ثم يتساءل: لماذا العلاقات باردة؟

القرآن يقول لك ببساطة: لأن يدك مربوطة.

ولا تكن زرّ التحويل البنكي المفتوح 24 ساعة

ولا تبسطها كل البسط (الإسراء 29)

في الجهة الأخرى... المسرف.

الذي ينفق بلا حساب.

يشتري كل جديد.

يعطي دون تقدير.

ثم آخر الشهر: كيف اختفى الراتب؟!

الإسراف ليس كرمًا.

هو عاطفة بلا حكمة.

يحكي أحد الشباب في تجربة حديثة:

كان يتفاخر بين أصدقائه بأنه "يعيش اللحظة".

كل إصدار جديد يشتريه، كل رحلة يذهب إليها، كل دعوة يدفعها.

كان حسابه على وسائل التواصل مليئًا بالصور...

لكن حسابه البنكي؟

فارغ.

وفي أحد الأيام، احتاج مبلغًا بسيطًا لظرف طارئ...

فاتصل بمن كانوا يصفقون له دائمًا.

فلم يُجب أحد.

حينها قال:

كنت كريمًا... لكن بلا وعي، فدفعت الثمن وحدي.

وقد نزلت هذه الآية – كما رُوي عن ابن مسعود – عندما أعطى النبي ﷺ قميصه لسائل حتى بقي في بيته بلا ثوب يخرج به، فنزل التوجيه الإلهي ليعلّم الأمة مبدأ الاعتدال.

النبي ﷺ قمة الكرم، ومع ذلك جاءه التنبيه: التوازن أولًا.

لأن النتيجة واحدة... لوم أو حسرة

فتقعد ملوماً محسوراً (الإسراء 29)

اللفتة البلاغية هنا مذهلة.

في البخل: ملوم من الناس، ومن نفسك.

في الإسراف: محسور... أي منقطع، منهك، بلا قوة.

كحال المسافر الذي أنهكه الطريق فلم يعد قادرًا على السير.

الطرفان مؤذيان.

وكلاهما خروج عن القوام.

ولهذا يقول تعالى في سورة الفرقان:

وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا (الفرقان 67)

القوام... ليس منتصفًا حسابيًا جامدًا،

بل توازن حيّ يتغير بحسب الحال، لكن لا يخرج عن الحكمة.

دستور اقتصادي رباني

القرآن لا يعطيك موعظة عاطفية فقط، بل يضع نظامًا:

أنفِق... ليبقى المجتمع حيًا.

ادّخر... لتحفظ كرامتك.

أعطِ... دون أن تضيّع نفسك.

ووفّر... دون أن تخنق قلبك.

لأن الرزق في النهاية بيد من؟

إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ (الإسراء 30)

ويقول سبحانه:

مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ (النحل 96)

فلسفة الإنفاق في الإسلام ليست قائمة على الخوف...

ولا على التهوّر...

بل على الثقة.

حديث يهزّ فكرة النقص

في الحديث القدسي

يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كلَّ واحد مسألته، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أُدخل البحر...(رواه مسلم)

تخيّل إبرة تُغمس في البحر...

كم ستنقص من مائه؟

لا شيء يُذكر.

الله هو الغني، ونحن نُربَّى على التوازن لا لأن خزائنه تخاف النقص،

بل لأننا نحن من نحتاج الحكمة.

ماذا تعني هذه الآية اليوم؟

في زمن بطاقات الائتمان، والشراء بالتقسيط، وثقافة أعيش اللحظة...

هذه الآية تقول لك:

لا تكن أسير الخوف.

ولا تكن أسير الرغبة.

كن سيد قرارك.

أن تشتري ما تحتاجه دون استعراض.

أن تعطي دون أن تُفلس.

أن تدّخر دون أن تتحول إلى حارس خزائن متوتر.

التوازن... عبادة

الاعتدال ليس مهارة مالية فقط،

بل عبادة.

هو طاعة.

هو وعي.

هو صورة من صور الشكر.

أن تستخدم المال كأداة... لا كهوية.

أن تملكه دون أن يملكك.

فاليد التي تعطي بحكمة...

هي يد حرة.

والقلب الذي يثق برزق الله...

لا يعرف الفقر الحقيقي.

في النهاية، الآية لا تتحدث عن يدك فقط...

بل عن قلبك.

فهل يدك اليوم مغلولة؟

أم مبسوطة كل البسط؟

أم أنها تسير بقوام... كما أراد الله لك؟

الفصل الثاني عشر

لا تلقِ قلبك إلى التهلكة

وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ

(البقرة 195)

تخيّل لو أن التهلكة ليست خسارة مال... بل خسارة معنى.

لو لم تكن في العطاء... بل في الإمساك.

لو لم تكن في أن تُنفق... بل في أن تقول: ليس عندي ما أُعطي.

الآية لا تخاطب جيوبنا فقط.

هي تخاطب قلوبنا.

حين نظن أن الإنفاق خسارة

لما أُمِر الناس بالنفقة، قال بعضهم:

إن أنفقنا ذهب مالُنا... ماذا يبقى لنا؟

فنزل الجواب الإلهي بلغة واضحة:

أنفقوا... ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة.

أنفقوا... وأنا أرزقكم.

التهلكة هنا ليست الموت في ساحة الشرف.

وليست أن يُقتل الإنسان في سبيل قضية عظيمة.

بل التهلكة الحقيقية — كما فُسِّر عن بعض الصحابة — أن يُمسك الإنسان يده عن الخير، فيُهلك قلبه بالإثم، ويُضيّق أفق رزقه بالخوف.

أحيانًا نحن لا نخاف الفقر...

نحن نخاف الثقة.

ما عندي شيء — أخطر جملة

جاء في الأثر:

لا يقولنّ أحدكم: إني لا أجد شيئًا، فإن لم يجد إلا مِشْقَصًا سهمًا صغيرًا فليتجهز به.

الفكرة ليست في حجم ما تعطي.

الفكرة في أن تبقى يدك ممتدة.

لا شيء؟

ابتسامة.

كلمة دعم.

مشاركة علم.

رسالة تطمئن قلبًا.

سهم صغير... لكنه يُثبت أنك لم تنسحب من ميدان العطاء.

ومن أجمل ما يروى في هذا المعنى، أن أبواب السماء قد تُفتح لشيء يراه الناس ضئيلًا.

امرأة قدّمت نصف تمرة، لكنها عند الله لم تكن نصف شيء... بل كانت صدق قلب كامل.

لهذا لا تحتقر القليل.

فبعض القليل، إذا خرج من قلب صادق، كان عند الله كثيرًا جدًا.

التهلكة تبدأ حين تقول:

لن أشارك... لأن مشاركتي بسيطة.

وفي واقعنا اليوم تتكرر القصة نفسها، لكن بملابس جديدة.

كم من حملة علاجٍ لمريض بدأت بمبلغ صغير جدًا، ثم اجتمع عليها الناس حتى صارت نجاةً كاملة.

وكم من طالب كاد أن يترك دراسته، ثم تكفّل به متبرعون لا يعرف أحدهم الآخر، وكان أول من بدأ التبرع شخصًا عاديًا جدًا بمبلغ متواضع جدًا.

النجاة الكبرى كثيرًا ما تبدأ من مساهمة صغيرة... لكن صاحبها لم يقل: ما الفائدة مني؟

بل حتى على مستوى العلاقات الإنسانية، كم من إنسان كان على حافة الانكسار، ثم أنقذته كلمة دعم، أو اتصال صادق، أو رسالة تقول:

أنا هنا... لا تقلق.

بعض الناس لم يحتاجوا مالًا بقدر ما احتاجوا يدًا تمتد إليهم قبل أن يسقطوا.

ستة معانٍ... ورسالة واحدة

فسّر العلماء قوله تعالى:

ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة

بعدة معانٍ، وكلها تصب في اتجاه واحد:

لا تنسحب من الخير.

لا تتركوا النفقة فتقعوا في الإثم.

لا تخرجوا بغير استعداد فتضعفوا.

لا تيأسوا من المغفرة فتتركوا التوبة.

لا تتركوا الجهاد أي مجاهدة النفس والباطل فتخوروا.

لا تتهوروا بلا حكمة.

وقيل: الآية تشمل هذا كله.

وكأن الرسالة تقول:

التهلكة ليست موقفًا واحدًا...

بل كل طريق يقطعك عن الله.

الإحسان... المستوى الأعلى

ثم تختم الآية بلمسة دافئة:

وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ

ليس فقط افعلوا.

بل أحسنوا.

الإحسان قيل فيه:

أن تُتقن أداء الفرائض.

أن تُحسن الظن بقدر الله.

أن تعود بالإحسان على من لا يملك شيئًا.

الإحسان هو أن تعطي... وأنت مطمئن.

أن تبذل... وأنت واثق أن الله لا يضيعك.

أن ترى في كل عطاء استثمارًا أبديًا.

الرسالة بلغة اليوم

لو أردنا أن نكتب هذه الآية بأسلوب عصرنا، لقلنا:

لا تجعل الخوف يدير قراراتك.

لا تحبس الخير بحجة القِلّة.

لا تعتزل الميدان لأنك لا تملك الكثير.

لا تيأس من نفسك إذا أخطأت.

لا تبخل على الدنيا بنسختك الأفضل.

العطاء ليس خصمًا من رصيدك.

العطاء إضافة إلى حياتك.

وفي زمن وسائل التواصل، تظهر هذه الآية بصورة أوضح مما نظن.

ترى منشورًا بسيطًا لشخص يطلب الدعاء لوالدته في المستشفى...
فتأتيه آلاف الدعوات من قلوب لا تعرفه.

وترى تغريدة عن حاجة أسرة متعففة، فيعيد الناس النشر، ثم تتحول الكلمات إلى طعام ودواء وإيجار مدفوع.

وترى مقطعًا قصيرًا لشاب يتحدث عن أزمته النفسية، ثم تكون التعليقات الصادقة سببًا في أن يشعر أنه ليس وحده.

السوشيال ميديا — رغم ما فيها — كشفت لنا شيئًا مهمًا:

أن الأثر لا يحتاج دائمًا إلى بطولة ضخمة.

أحيانًا يكفي أن لا تمرّ على الوجع مرور المتفرج.

أن تساهم.

أن تعيد نشر الخير.

أن تدعو.

أن تدلّ.

أن تكون حاضرًا في صفّ الرحمة، ولو بسهم صغير.

لكن في المقابل، التهلكة الحديثة أيضًا قد تكون في صورة أخرى:

أن ترى كل هذا الاحتياج... ثم يعتاد قلبك التمرير.

أن تشاهد الألم، ثم تقول: ليس شأني.

أن تصبح كثرة المشاهد قد أطفأت فيك الاستجابة.

وهنا لا تهلك الجيوب...

بل تهلك القلوب.

كل مرة تُمسك يدك عن الخير... تخسر فرصة أن يحبك الله.

إن الله يحب المحسنين.

تأمّلها جيدًا.

ليست مجرد صفة.

إنها علاقة.

فاختر أن تكون من الذين يُحبّهم الله.

ابدأ بسهم صغير.

لكن لا تتوقف.

الحقيقة التي يغفل عنها الكثيرون

أنت لست مجرد مصدر للعطاء.

أنت أيضًا... إنسان يحتاج إلى رحمة.

يحتاج إلى أمان.

يحتاج إلى عناية.

والإسلام لم يطلب منك أن تطفئ نفسك... لتنير الآخرين.

بل أن تكون نورًا... يستمر.

والنور لا يستمر... إذا احترق بالكامل.

التوازن ليس نقطة ثابتة... بل وعي مستمر

ستكون هناك مواسم تعطي فيها أكثر.

ومواسم تحتاج فيها أن تتمهل.

وهذا طبيعي.

المهم أن يبقى قلبك حيًا.

متصلًا.

صادقًا.

لا منغلقًا تمامًا...

ولا مستنزفًا تمامًا.

بل حيًا... ومتوازنًا.

الحقيقة التي تمنح السلام

حين تفهم التوازن، تدرك أن العطاء ليس ضدك.

بل لك.

ليس خصمًا من حياتك.

بل إضافة إليها.

لأنك حين تعطي بوعي،

أنت لا تخسر نفسك...

أنت تجدها.

الفصل الثالث عشر

لا تُحوّلِ صدقتك إلى منشور فارغ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَى

(البقرة 245)

تخيل معي هذا المشهد...

شخص يمد يده ليعطي، ويد أخرى في الخلف تمسك بالكاميرا.

ابتسامة أمام العدسة، ووجه منكسر خلفها.

تعليق جاهز للنشر *الحمد لله الذي جعلنا سببًا في إسعادهم*

لكن... هل سأل أحدهم قلب الفقير إن كان سعيدًا فعلًا؟

الآية التي تهزّ القلوب

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَى (البقرة 245)

الله لا يتحدث هنا عن قيمة المال...

بل عن **قيمة القلب**.

قد تعطي ألفًا... فيُكتب لك صفر.

وقد تعطي القليل... فيُكتب لك جبل من الأجر.

الفرق؟

ليس في اليد... بل في النيّة.

هذه الآية تضع دستوراً أخلاقياً للتعامل الإنساني، فالعبرة ليست بمجرد إعطاء المال، بل بسلامة القلب.

ما هو المنّ في زمننا؟

المنّ ليس فقط أن تقول:

أنا الذي أعطيتك.

المنّ اليوم قد يكون:

سكرين شوت تحويل بنكي في جروب العائلة:

هذا ما دفعته اليوم... وأنتم؟

تذكير شخص ساعدته قبل سنوات عند أول خلاف:

نسيت من وقف معك؟

جملة عابرة في مجلس:

فلان لولاي ما أكمل تعليمه.

المنّ ليس كلمة فقط...

هو شعور بالتفوق يُلبس العطاء ثوب السيطرة.

وما هو الأذى؟

الأذى قد يكون أقسى من الفقر نفسه.

أن تعطي...

ثم تنظر باستعلاء.

أو تتأفف.

أو تُسمع كلمات جارحة.

الأذى قد يكون:

تصوير الفقير وهو يستلم الصدقة وبثها في اللايف.

ذكر تفاصيل ديونه أمام آلاف المتابعين.

جعله ينتظر ساعات في الشمس قبل أن تعطيه حقه.

مطالبته بخطاب شكر رسمي... أو درع تقدير!

أتعلم ماذا يعني هذا؟

أن يتحول العطاء من عبادة...

إلى استعراض.

المثل القرآني الذي يختصر كل شيء

القرآن يرسم صورة بديعة:

كحجر أملس... عليه تراب.

نزل عليه مطر شديد... فغسل التراب.

وبقي الحجر صلدًا... لا ينبت شيئًا.

التراب هو العمل الظاهر.

الحجر هو القلب.

قد يرى الناس التراب فيظنون الأرض خصبة.

لكن أول اختبار يكشف الحقيقة.

المطر هنا هو:

المنّ.

الأذى.

الرياء.

يأتي... فيغسل كل شيء.

ويبقى قلبٌ صلد.

هذا القلب الصلد المغشى بالرياء يمثله صفوان عليه تراب ، حجر لا خصب فيه ولا ليونة ، يغطيه تراب خفيف يحجب صلادته عن العين ، كما أن الرياء يحجب صلادة القلب الخالي من الإيمان . . وذهب المطر الغزير بالتراب القليل ! فانكشف الحجر بجدبه وقساوته ، ولم ينبت زرعه ، ولم يثمر ثمرة . . كذلك القلب الذي أنفق ماله رئاء الناس ، فلم يثمر خيرا ولم يعقب مثوبة

أخطر شيء؟ الرياء

أن تعطي... لا لله... بل للناس.

أن تنتظر تعليقًا يقول:

ما شاء الله كرمك لا يوصف.

أن تفرح بعدد المشاهدات أكثر من فرحك بقبول العمل.

النبي ﷺ قال:

ثلاثة لا يكلّمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم : المنّان بما أعطى ، والمسبل إزاره ، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب (رواه مسلم)

تأملها...

ليس لأنه لم يعطِ.

بل لأنه أفسد ما أعطى.

حتى المؤسسات ليست بعيدة

المنّ والأذى لا يقتصران على الأفراد.

أحيانًا:

تُعطى مؤسسة خيرية دعمًا...

ثم تُرهق بتقارير استعراضية.

يُطلب من المستفيدين الظهور في حفلات تكريم.

يُفرض عليهم خطاب شكر علني.

تُطبق عليهم أنظمة شركات تجارية لا تليق بعملٍ إنساني.

النتيجة؟

يتحول العمل الخيري إلى منصة علاقات عامة.

بينما الأصل أن يكون:

علاقة بينك وبين الله فقط.

دروس من التاريخ... بلا كاميرات

زين العابدين إبن الحسين

كان يحمل الطعام ليلًا إلى بيوت مئة أسرة.

لم يعرفوا أنه هو... إلا بعد موته.

اليد العليا في الإسلام

ليست التي تلوّح أمام الناس...

بل التي تعطي وتختفي.

ابن المبارك

قضى دين رجلٍ مسجون،

واشترط ألا يُخبره أحد ما دام حيًا.

تخيل...

أن تُنقذ إنسانًا...

ولا تسمح له حتى بشكرك.

هذا هو الهروب من المنّ.

في زمن الترند

اليوم المنّ قد يكون:

فيديو مؤثر لعامل بسيط يبكي أمام الكاميرا.

بث مباشر يكشف خصوصيات أسرة محتاجة.

تعليق علني يذكّر بالمساعدة السابقة.

دعم رقمي... ثم فضيحة عند أول خلاف.

اللايكات قد ترتفع.

لكن الأجر قد يسقط.

قصة شنطة رمضان

شاب وزع كراتين غذائية وصوّر كل بيت.

نشر الصور بفخر.

أبناء إحدى الأسر توقفوا عن المدرسة أيامًا...

لأن زملاءهم سخروا من صورة كرتونة الصدقة.

هل أطعم بطونهم؟ نعم.

هل كسر قلوبهم؟ أيضًا نعم.

وهنا السؤال الحقيقي:

هل بقي الأجر؟

في المقابل... صدقة لا تُعرف

طبيب يدفع تكاليف عمليات مرضى

ويقول لهم:

فاعل خير تكفل.

متبرعون يسددون ديونًا عبر منصات إلكترونية

دون أن يعرفوا اسم المستفيد.

هذا هو التطبيق العصري لقوله تعالى:

وإن تُخْفُوهَا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ (البقرة 271)

المنّ يبدأ من الداخل

الإمام الرازي قال معنى عظيمًا:

المعطي الحقيقي هو الله.

حين تعطي...

أنت في الحقيقة تأخذ شرف الوساطة.

الفقير ليس مدينًا لك.

أنت الذي مُنحت فرصة للأجر.

ولو تأملت...

لوجدت أن حاجته إليك مؤقتة.

لكن حاجتك إلى ثواب الله أبدية.

اختبار بسيط لقلبك

قبل أن تعطي، اسأل نفسك:

هل سأذكر هذه الصدقة لاحقًا؟

هل سأغضب إن لم أشكر؟

هل سأفرح بالمدح؟

هل سأحزن إن لم يعلم أحد؟

إذا كان الجواب نعم...

فانتبه.

ربما تحتاج أن تصلح النية قبل أن تخرج المال.

القاعدة الذهبية

حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه.

العطاء الحقيقي هو الذي:

يملأ جيب الفقير...

ويحفظ كرامته...

ولا يترك جرحًا في قلبه...

ولا يترك بصمة لاسمك.

الخلاصة

المنّ والأذى اليوم

قد يكونان كلمة...

أو صورة...

أو منشورًا...

أو تعليقًا...

أو حتى نظرة.

الصدقة ليست معاملة بين غني وفقير.

هي معاملة بين عبد وربه.

فإما أن تكون زرعًا ينمو...

وإما أن تكون حجرًا صلدًا

غسله أول مطر.

والسؤال الذي يبقى لك...

حين تعطي:

هل تريد أن يرى الناس عملك؟

أم تريد أن يراه الله؟

الفصل الرابع عشر

لوجه الله فقط...

حين يتحرر القلب من تصفيق الناس

إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا

(الإنسان 9)

تخيل هذا المشهد...

يدٌ تمتدّ بالعطاء، وقلبٌ يقول في صمت:

لسنا هنا لنُصفَّق لنا... نحن هنا لأن الله يرى.

هذه ليست مجرد آية.

هذه مدرسة تربية.

هذه إعادة تعريف كاملة لمعنى الخير.

الرحمة التي تتجه للأعلى

القرآن لا يصف فعل إطعام فقط... بل يصف **قلبًا**.

قلوب رقيقة، رحيمة، لكنها في الوقت نفسه واعية جدًا:

لا تريد جزاءً، ولا شكورًا، ولا امتنانًا، ولا حتى كلمة شكرًا.

إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ

كلمة **إنما** في اللغة تفيد الحصر.

أي: الغاية الوحيدة... الوجهة الوحيدة... المقصد الوحيد... هو الله.

ليس السمعة.

ليس الصورة.

ليس التقدير.

ليس حتى الشعور الداخلي بالرضا أمام الناس.

فقط: لوجه الله.

الإيثار + الإخلاص = أعلى درجات العطاء

في الآيات قبلها قال تعالى:

وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ

أي أنهم يعطون وهم **يحبّون** ما يعطون.

هذا اسمه **إيثار**.

ثم قال:

لِوَجْهِ اللَّهِ

وهذا اسمه **إخلاص**.

أن تجتمع التضحية + الإخلاص؟

هذا أعلى مستوى يصل إليه القلب.

لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً

انتبه للتفاصيل اللغوية المدهشة:

لم يقل: لا نطلب.

بل قال: لا نريد

ونفي الإرادة أعمّ وأبلغ من نفي الطلب.

كرر لا:

لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً

حتى لا يُفهم أنهم قد يقبلون أحدهما.

قدّم الجزاء على الشكر، لأن الناس غالبًا يهمهم المكافأة أكثر من الثناء.

واستخدم كلمة **شكورًا** لا شكرًا.

وشكورًا أبلغ، وتحتمل الكثرة.

أي: حتى لو تكرر الشكر مرارًا... لسنا نريده منكم.

والأجمل؟

الآية لم تقل: قالوا.

كأن هذا لم يكن كلام ألسنة... بل كلام قلوب.

قال مجاهد وسعيد بن جبير:

ما قالوها بألسنتهم، ولكن علمها الله من قلوبهم فأثنى عليهم بها.

يا لهذا العمق...

إخلاص لا يُقال... بل يُعاش.

لماذا يفعلون ذلك؟

إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (الإنسان 10)

هم يعطون لأنهم يعرفون أن هناك يومًا عظيمًا ينتظرهم.

يعطون وهم يتقون النار.

وقال النبي ﷺ:

اتقوا النار ولو بشق تمرة (رواه البخاري و الترمذي)

نصف تمرة...قد تكون سبب نجاتك.

الإسلام يربي القلوب... لا يصنع فقط أعمالًا

البعض يظن أن العطاء قد يُذلّ الآخذ أو يفسد المعطي.

لكن الإسلام ليس مجرد توزيع أموال.

إنه **تربية قلب**.

العاطفة الكريمة:

تهذّب صاحبها.

وتنفع أخاه.

وتصلحهما معًا.

الدين يريدك أن تعطي...

لكن يريد قلبك أن يصعد مع العطاء.

في واقعنا اليوم...

خلينا نكون صريحين.

أحيانًا نتضايق لما نُحسن ولا يُقابل إحساننا بشكر.

تساعد شخصًا... ولا حتى رسالة.

تتعب في العمل... ولا تقدير.

تفعل خيرًا في العائلة... وكأن شيئًا لم يكن.

وهنا يوجع القلب.

لكن الآية تقول لك بهدوء:

إذا كان الله هو المقصود... فلن يوجعك جفاء الناس.

الإخلاص يحررك:

من انتظار التقدير

من خيبة الأمل

من تعب المقارنة

من تقلب مزاج البشر

ويجعلك ثابتًا... لأن وجهتك ثابتة.

تدريب عملي للقلب

قبل أي عمل خير

قل في قلبك فقط:

اللهم هذا لك.

لا تنطقها.

خلّها سرًا بينك وبين الله.

مرة أسبوعيًا على الأقل

صدقة خفية

رسالة دعم مجهولة

قضاء حاجة دون أن يُعرف اسمك

إذا لم يعرفك أحد... فقد نجحت.

لو لم يُشكرك أحد

لا:

تُعاتب

تُذكّر

تُراجع قرارك

قل فقط:

كفاني أن الله رأى.

مقاومة الرغبة في الحكي

بعد أي عمل طيب:

لا تنشره

لا تلمّح له

لا تستحضره في سياق الفخر

وإن جاءك الثناء؟

انسب الفضل لله بهدوء.

مراجعة ليلية (دقيقة واحدة)

قبل النوم اسأل نفسك:

هل فعلت خيرًا اليوم لوجه الله فقط؟

هل تألمت لعدم التقدير؟

إن وجدت ضعفًا... لا تَلُم نفسك.

جدّد النية. وابتسم.

ثمرة هذا الطريق

راحة قلب

صفاء نية

علاقة أصدق مع الله

تحرر من الناس وتقلباتهم

قوة داخلية لا تعتمد على تصفيق أحد

وهنا نفهم سر الآية...

إنما نطعمكم لوجه الله.

ليس لأن الناس تستحق دائمًا.

بل لأن الله يستحق دائمًا.

وحين يصبح الله هو المقصد...

يتحول كل معروف صغير ... إلى عمل عظيم في السماء

الفصل الخامس عشر

البر الحقيقي يبدأ بما تحب

لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ

(آل عمران 92)

هل فكّرت يومًا أن طريقك إلى البر والجنة قد يمر عبر ما تحبه؟ هذه ليست مقولة فلسفية، بل وعد إلهي صريح:

لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ (آل عمران 92)

الآية الكريمة تعلمنا درسًا رائعًا في الصدقة، ليس مجرد إخراج فائض المال أو الأشياء القديمة، بل أن يكون إنفاقك من طيب ما تملكه، مما تحبه وتعتز به. هذا الشرط يجعل الصدقة اختبارًا حقيقيًا لقوة إيمانك وصدق محبتك للخير.

الانفاق في أشد الظروف

أكثر ما يُظهر صدق الإنسان هو إنفاقه في وقت الحاجة. فحين يكون قلبك متعلقًا بمالك، وتقبض عليه النفس بشدة، يكون إنفاقه أقوى وأبلغ دليل على الإيمان. كما قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين:

الشيء الذي تحبه النفس كثيرًا هو الذي تشح النفس في إنفاقه، فإذا أنفقته مع تعلق نفسك به، كان ذلك دليلاً على قوة إيمانك، لأن الإنسان لا يدفع إلا بالقوي

تخيل نفسك تمسك بمالك أو وقتك أو راحتك، وتمنحه لشخص محتاج، ليس لأنه متاح، بل لأنه محبوب. هذا هو البر الحقيقي.

قد طبّق الصحابة الكرام هذه الآية حرفيًا

أبو طلحة الأنصاري: أحب ماله كان بيرحا، وهو مكان ماء قرب المسجد. حين نزلت الآية، لم يتردد، بل قدّمها صدقة لله، مقسّمًا إياها بين أقاربه.

زيد بن حارثة: تبرع بفرسه المحبوبة سَبَل.

عبد الله بن عمر كان يتصدق بالسكر، لأنه يحب السكر، مؤكدًا أن المحبة تجعل الصدقة أصدق

مما تحبون

الإنفاق ليس فقط بالمال. يمكن أن يكون:

طعامك المفضل، تقدمه للمحتاج.

وقتك الثمين، تخصصه لخدمة الآخرين.

حلمك أو راحتك، تتنازل عنها في سبيل الله.

أدواتك أو ممتلكاتك الغالية، كالذهب أو الملابس الجميلة، تُقدّم بصدق، لا من فائض لا حاجة له.

زوجات يتبرعن بـحليّ ذهبية ومجوهرات لصالح بناء مدارس أو مساجد أو كفالة أيتام

بدلاً من التصدق بالملابس القديمة أو المستعملة فقط، تشتري ملابس جديدة تماماً مما يعجبهم وتشتهيه أنفسهم لتقديمها للفقراء، ليحققوا شرط الإنفاق مما يحبون لا مما زاد عن حاجتهم.

تطعم مسكيناً من أفضل صنف طعام تحبه وتشتهيه في تلك اللحظة، وليس فقط فضلات الطعام.

كما يقول الشيخ عثمان الخميس:

البر ليس أن تعطي ما لا تحتاجه، البر أن تعطي ما تحبه... ولو مرة واحدة في حياتك. ولو كانت بسيطة. قلم يعجبك، هاتف تحبه، طبخة شهية... هذا هو البر الحقيقي.

البر الحقيقي يبدأ بالتضحية بما تحب.

ليس بما زاد عن حاجتك.

هو اختبار حبك للخير، وصدق تعلقك بالله.

إن فعلت ذلك ولو مرة واحدة، ستفتح أمامك أبواب البر والنور في حياتك، وستكتشف معنى حقيقي للكرم والإيمان

لعبة الطفل

في حملة لجمع الألعاب لأطفال الأيتام، جاء طفل صغير يحمل لعبته المفضلة.

سأله والده: لماذا هذه بالذات؟

قال:

لأنهم قالوا إن الله يحب أن نعطي مما نحب.

فنجان القهوة

شاب كان يقف في طابور المقهى لشراء قهوته المفضلة.

ورأى عامل نظافة متعبًا.

فاشترى له نفس القهوة التي كان يريدها لنفسه.

لحظة بسيطة... لكنها **إنفاق مما نحب**.

الهاتف الجديد

رجل اشترى هاتفًا جديدًا بعد ادخار طويل.

وفي العمل عرف أن أحد زملائه لا يستطيع شراء هاتف لابنه للدراسة.

فأعطاه الهاتف.

وقال: كنت أريده... لكن ربما يحتاجه أكثر مني.

طبق الغداء

امرأة كانت قد أعدت طبقًا شهيًا تحبه عائلتها.

وفي نفس الوقت سمعت أن جارهم المريض يعيش وحده.

أخذت أفضل ما في الطعام وأرسلته له.

ليس الباقي... بل **الأفضل**.

الطالب الجامعي

طالب جامعي كان يدخر المال لشراء حاسوب جديد.

ثم علم أن أحد زملائه قد يترك الدراسة لأنه لا يملك رسوم الفصل.

فدفع له جزءًا من الرسوم.

وقال: الحاسوب يمكن أن ينتظر.

الساعة الثمينة

شاب يملك ساعة يحبها كثيرًا.

في حملة لجمع التبرعات لعلاج طفل مريض، خلعها وتبرع بها فورًا.

يوم الإجازة

رجل ينتظر يوم إجازته طوال الأسبوع ليرتاح.

لكنه قرر أن يقضيه في توزيع الطعام على العمال.

لم يتبرع بمال فقط... بل **براحة نفسه**.

الملابس الجديدة

بدل أن يتبرع شخص بملابسه القديمة، ذهب إلى السوق واشترى ملابس جديدة جميلة للفقراء.

وقال: أريدهم أن يلبسوا كما أحب أن ألبس.

الوجبة المفضلة

شاب كان جائعًا بعد يوم طويل واشترى وجبته المفضلة.

وعند خروجه رأى رجلًا محتاجًا.

فأعطاه الوجبة كلها... وعاد إلى البيت.

الطفل والصدقة

عندما طلبت معلمة من الطلاب إحضار شيء للتبرع به، أحضر طفل دراجته الصغيرة.

قالت له: يمكنك إحضار لعبة أخرى.

فقال:

لكن هذه أحبها... أليس هذا المطلوب؟

امرأة تتبرع بذهبها

في إحدى حملات بناء المساجد، خلعت امرأة حليّها الذهبية وتبرعت بها.

قالت:

كنت أحبها... لكني أحب أن ألقَى الله بشيء منها.

شاب يتنازل عن سيارته

شاب كان يملك سيارة جديدة، وعلم أن صديقًا له فقد عمله ولا يملك وسيلة لنقل أسرته.

فأعطاه السيارة ليستخدمها حتى تتحسن ظروفه.

رجل يتبرع بمكافأة كاملة

موظف حصل على مكافأة مالية كبيرة كان ينتظرها منذ سنة.

وفي نفس الأسبوع علم بوجود عائلة تحتاج عملية جراحية عاجلة.

فأعطى المكافأة كاملة.

الخلاصة

العطاء الحقيقي ليس:

ما لا **نحتاجه**.

بل ما **نحبه**.

ولهذا قال الله:

لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ (آل عمران 92)

جرب مرة واحدة فقط أن تعطي شيئًا تحبه فعلًا لله...

وستكتشف أن **الذي سيملأ قلبك بعد ذلك أعظم بكثير مما أعطيته**.

الفصل السادس عشر

لا تعطِ الله ما لا ترضاه لنفسك

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ

(البقرة 267)

تخيل معي المشهد...

عندك صندوق تمر.

فيه الطيب... والوسط... والرديء.

جاء وقت القسمة.

مددت يدك... وأعطيت غيرك الجانب الأقل جودة.

ثم قلت في نفسك: تمّت الصدقة.

لكن لحظة.

لو انعكست الصورة؟

لو أُعطي لك هذا الجزء؟

هل ستبتسم؟

هنا تنزل الآية بهدوء، لكن بوضوح قاطع:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ... وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ (البقرة 267)

قوماً من الأنصار كانوا يأتون بالخشف من التمر فيجعلونه فيما يعطونه من زكاة أو يعلقون أقناء فيها خشف في حبل بين اسطوانتي مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأكل منها الفقراء فنزلت الآية

المسألة ليست مالًا فقط.

المسألة معيار.

الطيب... ليس مجرد جودة مادية.

هو ما تحب.

ما تفتخر به.

ما تختاره لنفسك.

والخبيث؟

ليس الحرام فقط.

بل الرديء الذي لا تقبله إلا إذا خُفِّض سعره... أو أُحرجت فقبلته مجاملة.

الآية تقول لك بوضوح:

لا تجعل الله آخر الاختيارات.

خلّينا ننزل بالآية من السماء... إلى تفاصيل حياتنا اليومية:

الإنفاق ليس تنظيف مستودع

الملابس

عندك ملابس نظيفة، جميلة، وتلبسها أحيانًا

هذه طيّبة

لكن تختار للتبرع الملابس البالية أو التي لا تلبسها لأنك تستحي منها

هذا هو الخبيث الذي نهت عنه الآية

السؤال: هل تقبل أن تُهدى لك؟

الصدقة بالمال

تملك دخلًا جيدًا

لكن عندما تتصدق تختار أقل مبلغ ممكن حتى لا يؤثر

بينما تنفق بسخاء على كمالياتك

هنا الآية تهمس: أين الطيّب مما كسبت؟

الطعام

في البيت طعام طازج وجيد

لكن ما يُعطى للمحتاج هو ما شارف على الانتهاء أو ما فاض بلا رغبة

بينما الإسلام يدعوك أن تُطعم مما تحب

الوقت والجهد

ليس المال فقط

تملك وقتًا، علمًا، خبرة

لكن تعطي للناس ما تبقّى بعد تعبك... لا ما تنظّمه بنيّة

هذا أيضًا من الإنفاق الذي تتحدث عنه الآية

الهدايا والمعروف

تهدي الناس شيئًا عاديًا جدًا

لكن تختار لنفسك بعناية

الإيمان يسأل: هل لو قُدّم لك هذا لفرحت؟

الخلاصة الواقعية:

الآية لا تطلب منك أن تعطي ما يضرّك،

بل أن لا تجعل الله آخر الاختيارات.

تمرين قلبي بسيط:

قبل أي عطاء اسأل نفسك:

لو كنت مكانه... هل سأفرح؟

إن كانت الإجابة نعم، فأنت على طريق الطيّبات.

تأمل أخيرا:

ربما صدقة صغيرة عندك،

لكنها/حبّ شيء...

تكون عند الله أعظم من الكثير

ترند: تحدّي التبرع بمبلغ بسيط جدًا

الكل يشارك حتى لا يخرج من الترند

الاختبار الحقيقي:

هل كنت ستتصدق لو لم يكن هناك جمهور؟

الهدايا والرعايات

مشاهير يتبرعون بأشياء وصلتهم مجانًا أو لم يعودوا يريدونها

الناس تصفّق،

لكن الميزان الإيماني يسأل:

هل هذا أحبّ ما عندك... أم الأسهل إخراجه؟

المقارنات السامّة

شخص يرى تبرعًا ضخمًا فيشعر أن عطاؤه لا قيمة له

بينما الآية لا تقارن بين الناس،

بل بين قلبك وعطائك

الخلاصة في عالم السوشيال ميديا:

ليس كل ما يُنشر طيبًا

وليس كل ما لا يُنشر قليل الأجر

الطيّب غالبًا... لا يراه أحد إلا الله

تمرين عملي اليوم:

تصدّق بصدقة لا تُصوَّر، لا تُكتب، لا تُشارك

ثم اقرأ الآية مرة أخرى... وستشعر بفرق

لكن الآية تسأل سؤالًا صادمًا:

وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ

هل ترضى لنفسك ما تُخرجه لله؟

إن كنت تستحي أن يُهدى لك،

فكيف تستطيب أن تجعله قُربة؟

رفض مبدأ: أي شيء وخلاص في العطاء.

الله غني… لكن قلبك هو المحتاج

ثم تأتي الجملة التي تعيد ترتيب كل شيء:

وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ

الله لا يحتاج صدقتك.

لا ينتفع بمالك.

لا يزداد ملكه بعطائك.

أنت الذي تحتاج أن تعطي.

الصدقة ليست دعمًا لميزانية السماء.

هي تربية لقلبك أنت.

حين تعطي من أحب أشيائك…

أنت تقول بصمت:

يا رب، ما عندك أبقى… وأنا لا أخاف.

أما حين تبحث عن الأقل قيمة…

فالقلب يهمس:

أخرج… لكن لا كثيرًا… ولا مما أحب.

تصحيح المفهوم: العمل أولًا

الإسلام لا يريد مجتمعًا يعيش على العطاء بلا سعي.

ولا يريد زوايا بطالة تُسمّى عبادة.

الإنفاق يعالج العجز الحقيقي...

لا يصنع كسلاً دائمًا.

لو أدّى الأغنياء ما عليهم...

لما اضطر محتاج إلى ربا.

ولما اختلّ الميزان.

الخلل ليس في حساب السماء.

الخلل حين يُحبس الحق المعلوم.

ولهذا جاء القرآن يُبشّع الربا...

لأنه نتيجة قسوة قلبٍ بخل بالإنفاق.

تمرين اليوم

قبل أي عطاء... اسأل نفسك:

لو كنت مكانه...

هل سأفرح بهذا؟

إن كانت الإجابة نعم،

فأنت في دائرة الطيّبات.

وإن ترددت...

فراجع قلبك قبل يدك.

الفصل السابع عشر

عندما يصبح العطاء أسلوب حياة

الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ

(البقرة 274)

هذه ليست آية تُقرأ فقط...

هذه **خطة حياة**.

العطاء ليس موسماً... بل نمط تشغيل دائم

الآية لم تقل:

ينفقون أحياناً.

ولا قالت: عند توفر المزاج.

قالت: **بالليل والنهار... سراً وعلانية**

يعني؟

لا أعذار.

لا تأجيل.

لا انتظار للوقت المناسب.

الخير لا ينتظر جدولك.

الليل والنهار = كل الزمن.

سراً وعلانية = كل الكيفيات.

كأن السماء تقول لك:

افتح صنبور العطاء... ودعه يجري.

سرًّا أم علانية؟ لا تدخل النية في الوقت

البعض يسأل:

الأفضل أن أتصدق ليلاً أم نهاراً؟

سراً أم أمام الناس؟

الآية حسمت النقاش.

كلاهما مطلوب.

في النهار: قد تكون قدوة.

في الليل: قد تكون مخلصاً لا يراك أحد إلا الله.

أحياناً يحتاج الناس أن يروا الخير...

وأحياناً تحتاج روحك أن تخفيه.

المعيار ليس التوقيت.

المعيار هو القلب.

لماذا جاءت الفاء؟ سرّ صغير... ومعنى عظيم

قال تعالى: فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ

هذه الـ فاء ليست حرفاً عادياً.

إنها إعلان نتيجة فورية.

مثال :

الذي يدخل الدار له مكافأة والذي يدخل الدار فله مكافأة.

الأولى فيها احتمالان إما أنه له مكافأة بسبب دخوله الدار كأن الدار مقفلة وهو يفتحها

أي أن المكافأة مترتبة على دخول الدار

وإما أن يكون للشخص الذي يدخل الدار له مكافأة بسبب آخر.

إذا ذكرت الفاء فلا بد أن المكافأة مترتبة على الدخول قطعاً وليس لأي سبب آخر

وهذا تشبيه بالشرط أي أن المكافأة شرط الدخول في الدار.

كأنها تقول:

إذا فعلت... **فلك الأجر قطعاً.**

بدون احتمالات.

بدون شروط خفية.

العطاء ليس مغامرة... بل وعد مضمون.

أجر... لا ثمن

لاحظ الكلمة:

لم يقل: لهم ثمن ما أنفقوا.

قال: أجرهم.

والفرق كبير جداً.

الثمن = مقابل شيء تملكه.

الأجر = مكافأة على عمل قمت به.

وهنا الحقيقة العميقة:

أنت لا تملك شيئاً أصلاً.

الفكر الذي خططت به؟ من الله.

الطاقة التي عملت بها؟ من الله.

المادة التي ربحت منها؟ من الله.

فماذا لك؟

لك أجر النية والعمل.

أنت لا تعطي من مالك...

أنت تعطي مما استُؤمنت عليه.

لا خوف عليهم... ولا هم يحزنون

الخوف: قلق من المستقبل.

الحزن: ألم على الماضي.

والآية تمسح الاثنين معاً.

لا خوف من الفقر.

ولا حزن على ما خرج من يدك.

لأن الذي أعطاك أول مرة...

قادر أن يعطيك ألف مرة.

من وثق بالخالق... لم يرتعب من النقص.

قد يخوّفك البعض:

ادخر.

انتبه.

الأيام صعبة.

لكن أهل الخير لا يعيشون بعقلية الذعر.

يعيشون بعقلية الثقة.

عندما يختل التوازن... يظهر الربا

القرآن لا يتحدث عن الإنفاق بمعزل عن الاقتصاد.

لو أن كل قادر أدى ما عليه...

لما اضطر محتاج أن يقترض بالربا.

الفكرة عميقة:

الخلل ليس في الفقير.

الخلل في يدٍ أمسكت ما يجب أن تفتحَه.

حين يُغلق باب العطاء... يُفتح باب الاستغلال.

ولهذا شدد القرآن في التحذير من الربا،

لأنه نتيجة مجتمع بخل... لا مجتمع عجز.

أمثلة بسيطة... أثرها عظيم

العطاء ليس مشروعاً معقداً.

هو قرار يومي.

شراء وجبة لمحتاج:

يمكنك شراء طعام لشخص فقير أو عامل نظافة، سواء سرًّا أو في حملة خيرية.

دعم طالب محتاج:

دفع مصاريف دراسة طفل فقير، أو توفير مستلزمات مدرسية له.

التبرع للجمعيات الخيرية:

سواء بشكل دوري أو مرة واحدة، سرًّا أو علانية.

شراء دواء لمريض محتاج:

مساعدة مريض لا يستطيع تحمل تكاليف العلاج.

إعانة جار أو قريب في ضائقة مالية:

إقراضه أو دفع جزء من فاتورة له، سرًّا أو أمام الأسرة لتشجيع الخير.

التطوع بالوقت والخدمة:

مساعدة كبار السن أو ذوي الاحتياجات الخاصة، حتى لو لم يكن ماديًا.

مشاركة الطعام أو الملابس:

التبرع بملابس أو طعام، يمكن سرًّا أو في حملة عامة.

إنشاء أو صيانة مرافق عامة:

مثل مسجد، مدرسة، أو نافورة مياه، مع إمكانية الإعلان أو السرّ.

تشجيع الآخرين على الخير:

تنظيم حملات تبرع أو حملات نظافة، لتكون قدوة حسنة.

ليس المهم كم أعطيت...

المهم أنك لم تمتنع.

قصة الأربعة دراهم

قيل إن عليًّا رضي الله عنه تصدق بأربعة دراهم:

واحداً ليلاً.

واحداً نهاراً.

واحداً سراً.

واحداً علانية.

فنزلت الآية.

لكن التعبير جاء بصيغة الجمع: **فلهم أجرهم**

المعنى؟

الباب مفتوح للجميع.

الآية ليست قصة بطل...

هي دعوة لك أنت.

لا تؤجل الخير

أحياناً نقول:

غداً أتصدق.

عندما أرتب وضعي.

عندما أزيد دخلي.

لكن الحقيقة:

الخير لا يحتاج وفرة...

يحتاج قراراً.

ابدأ بما تملك...

ليبارك الله فيما لا تملك.

العطاء هوية... لا فعل عابر

الآية لا تصف فعلاً مؤقتاً.

بل تصف شخصية.

شخص يعيش بالعطاء.

يفكر بالعطاء.

يتحرك بالعطاء.

الزمان كله له.

والطريقة كلها له.

ليلاً ونهاراً.

سراً وعلانية.

والنتيجة؟

أجر محفوظ.

قلب مطمئن.

وحياة بلا خوف ولا حزن.

خلاصة الفصل

الفعل: الإنفاق

تقديم المال أو الخير في سبيل الله

يشمل الفقراء والمحتاجين والعمل الصالح

الزمان: الليل والنهار

استمرارية الإنفاق

عدم الاقتصار على وقت معين

الطريقة: سرًّا وعلانية

سرًّا: لوجه الله وحده

علانية: لتشجيع الآخرين وقدوة حسنة

الثواب والأجر

محفوظ عند الله

أفضل من أي مقابل دنيوي

النتيجة: الطمأنينة

لا خوف على المؤمن

لا حزن بسبب الإنفاق أو الدنيا

الحكمة ...ربط النية الصادقة بالعمل المستمر

يظهر أن الإحسان سلوك حياة، وليس مجرد فعل مادي

العطاء ليس نقصاً في الرصيد...

بل زيادة في المعنى.

الإنفاق ليس عملاً عابرًا.

بل هو نظام يحقق التوازن في المجتمع.

في كل مجتمع يوجد قادر ومحتاج.

وجعل الله في مال القادر حقًا للمحتاج.

لو أدى كل غني زكاته وحق الله في ماله،

لما بقي محتاج مضطرًا للاستدانة.

ولما لجأ أحد إلى الربا.

الله خلق الخلق بحكمة.

وجعل في أموال البعض ما يسد حاجة الآخرين.

حتى حركة الناس وانتقالهم بين الأماكن ليست عبثًا.

فقد يوجه الله صاحب المال إلى مكان يحتاج إلى عطائه.

عندما يبخل الأغنياء بحقوق المحتاجين،

تظهر الأزمات... ويظهر الربا.

لذلك جاء تحذير القرآن شديدًا منه.

لأنه يهدم الرحمة بين الناس.

الخلاصة

عندما يؤدي الغني حق الله في ماله،

يعيش المجتمع في توازن ورحمة.

وفي النهاية...

السؤال ليس: كم أنفقت؟

السؤال الحقيقي:

هل أصبحت من الذين ينفقون؟

الفصل الثامن عشر

لأن التقوى لا تأخذ إجازة

الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ
وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ
يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ

(آل عمران 134)

تخيّل أن باب الجنة مفتوح...

والدعوة ليست لكامل الناس.

بل لفئة محددة جدًا.

فئة لا تنتظر الظروف المناسبة لتكون طيبة.

هؤلاء هم الذين لا يؤجلون الخير.

لا يقولون: لما أرتاح أعطي.

ولا يقولون: أنا محتاج أكثر منه.

هم ينفقون... في السراء والضراء.

في السراء... حين يكون كل شيء على ما يرام

في اليسر.

في الرخاء.

في لحظة النجاح.

حين يمتلئ الحساب البنكي...

ويمتلئ القلب نشوة.

السراء لحظة خطيرة.

لأن الغنى قد يولّد بطرًا.

والفرح قد يصنع أنانية خفية.

لكن المتقي مختلف.

كلما زاد رزقه... زاد عطاؤه.

يرى المال أمانة، لا امتيازًا.

وسيلة، لا غاية.

كان بعض السلف يتصدّق ببصلة.

وتصدّقت أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر بحبة عنب.

حبة واحدة... لكنها عند الله ليست صغيرة.

وفي التاريخ مشهد أعظم:

عندما جاء رجل إلى النبي ﷺ يشكو الفقر، لم يكن في بيت النبي إلا قليل من الطعام،

ومع ذلك أُعطي له... لأن القلب كان ممتلئًا، وإن كان البيت خاليًا.

وفي الواقع القريب:

يُروى عن رجل أعمال ثري أنه جعل لنفسه قاعدة ثابتة:

كلما زاد دخله، زادت نسبة عطائه، لا العكس.

حتى صار ينتظر الأرباح... لا ليشتري، بل ليُعطي.

وفي زمن وسائل التواصل:

نرى أحيانًا حملات تبرع تنتشر بسرعة،

وأشخاصًا يشاركون فيها بسخاء...

لكن الجميل ليس في الرقم،

بل في أن هناك من تعلّم أن الفرح لا يكتمل إلا إذا شاركه مع غيره.

الميزان هناك مختلف.

النية أولًا.

ثم القلب.

ثم التضحية.

في الضراء... حين يكون العطاء أصعب

الضراء ليست فقط فقرًا.

قد تكون مرضًا.

ضيقًا نفسيًا.

أزمة عائلية.

انكسارًا داخليًا لا يراه أحد.

في الضراء... الإنسان يشعر أنه أولى بالأخذ لا بالعطاء.

يرى نفسه مستحقًا للدعم.

معذورًا في الإمساك.

لكن التقوى تقول:

أعطِ... ولو قليلًا.

وهنا تتجلى أعظم القصص:

في عام المجاعة في زمن عمر بن الخطاب،

كان بعض الفقراء يقتسمون كسرة خبز بينهم...

لا لأنهم يملكون، بل لأن قلوبهم رفضت أن تأكل وحدها.

وفي واقعنا:

تحكي إحدى القصص المنتشرة عن عامل بسيط،

كان يتقاضى أجرًا يوميًا محدودًا،

ومع ذلك كان يضع جزءًا منه في صندوق صدقة صغير،

ويقول: "يمكن في أحد محتاج أكثر مني".

وعلى وسائل التواصل:

انتشر مقطع لشخص لا يملك إلا القليل،

لكنه كان يوزّع الماء مجانًا في يوم شديد الحر،

لم يكن يملك مالًا كثيرًا... لكنه امتلك قلبًا واسعًا.

القرآن لا يطلب المستحيل:

لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ

الفكرة ليست في الكم.

بل في أن تظل روحك معطاءة... مهما كانت الظروف.

لأن النفس إن اعتادت الإمساك، قست.

وإن اعتادت البذل، سمت.

الإنفاق... أصعب اختبار إخلاص

لماذا بدأ الله بالإنفاق قبل كظم الغيظ والعفو؟

لأن المال عزيز على النفس.

هو الأداة التي نجلب بها اللذة وندفع بها الألم.

والتخلي عنه طوعًا... إعلان صريح أن الله أحبّ إلينا من الدنيا.

ولأن المجتمع في صدر الإسلام كان محتاجًا.

الجهاد يحتاج.

الفقراء يحتاجون.

الدولة في بدايتها تحتاج.

فجاء الأمر واضحًا:

وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ

الإمساك أحيانًا تهلكة.

والعطاء نجاة.

وفي النهاية الجملة التي تختصر كل شيء:

وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ

تخيّل...

الله يحبك.

لأنك أعطيت في وقت ضيق.

التقوى أسلوب حياة... لا مزاج عابر

السراء والضراء تغطيان كل الأحوال.

فرح وحزن.

صحة ومرض.

عرس ومأتم.

حياة ووصية بعد موت.

المتقي لا يعلّق الخير على المزاج.

لا يقول: اليوم نفسيتي ما تسمح.

هو في المنشط والمكره... كريم.

تخيّل لو أن كل فقير أعطى قليلًا.

لو أن كل قادر أعطى بقدر سعته.

كيف سيتغير المجتمع؟

القليل من الكثير... كثير.

والقرش حين يجتمع... يصنع مدرسة.

والحبة حين تُعطى... تربي قلبًا.

خلاصة الفصل

التقوى ليست شعورًا داخليًا فقط.

هي حركة.

بذل.

أن تعطي حين تستطيع.

وحين لا تستطيع... تعطي أيضًا.

وهنا فقط

تدخل في دائرة المحبة الإلهية.

والسؤال الذي يظل معلقًا بينك وبين نفسك:

هل عطاؤك مرتبط برصيدك...

أم مرتبط بربك؟

الفصل التاسع عشر

بين صدقة السر وصدقة العلن

إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ

(البقرة 271)

عندما تصبح النية هي البطل الحقيقي

مشهد من زمن السوشيال ميديا

تخيّل هذا المشهد الذي أصبح مألوفًا في عالمنا اليوم:

شخص ينشر صورة له وهو يقدّم تبرعًا لجمعية خيرية، ويكتب تحتها: الحمد لله على نعمة العطاء.

بعد دقائق قليلة تبدأ التعليقات:

ما شاء الله... قدوة حسنة.

جزاك الله خيرًا.

هذا رياء واستعراض!

المهم أنه يساعد الناس.

وهنا يظهر السؤال الذي يتكرر منذ قرون، لكنه عاد اليوم بقوة في عصر الكاميرات والمنشورات:

هل الأفضل أن تكون الصدقة علناً أم سراً؟

هذا السؤال ليس جديدًا.

لقد طُرح منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا، وجاء الجواب في القرآن بكلمات قليلة، لكنها تحمل حكمة عميقة في فهم النفس البشرية والعمل الصالح:

إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ

(البقرة 271)

آية قصيرة، لكنها ترسم ميزانًا دقيقًا للعطاء:

الصدقة خير في كل حال... لكن النية هي التي تحدد الأفضل.

إعلان الخير

عندما يصبح العطاء مُعدياً

كثير من الناس يظنون أن إعلان الصدقة خطأ في حد ذاته، لكن القرآن لا يقول ذلك.

بل يقول: **فنعمّا هي.**

أي أن إظهار الصدقة قد يكون عملاً محمودًا.

لماذا؟

لأن الخير مثل العدوى... لكنه عدوى جميلة.

عندما يرى الناس شخصًا يساهم في مشروع خيري، أو يتبرع لبناء بئر ماء، أو يدعم مبادرة إنسانية، قد يتحرك في داخلهم صوت يقول:

لماذا لا أفعل مثله؟

وهكذا يتحول عمل فردي بسيط إلى موجة من العطاء.

في كثير من الحملات الإنسانية الحديثة بدأت الفكرة بمنشور واحد، أو صورة واحدة، ثم تحولت إلى حملة جمعت آلاف المتبرعين.

وهذا المعنى ليس جديدًا؛ فقد حدث مثله في زمن الصحابة.

سباق الخير

درس من التاريخ

في أحد الأيام دعا النبي ﷺ المسلمين للتبرع لتجهيز **جيش العسرة** في وقت كانت فيه الظروف صعبة والموارد قليلة.

جاء **عمر بن الخطاب** بنصف ماله، وكان يظن أنه سبق الجميع هذه المرة.

لكن بعد قليل جاء **أبو بكر الصديق** بكل ماله.

فسأله النبي ﷺ:

ما أبقيت لأهلك؟

فقال أبو بكر:

أبقيت لهم الله ورسوله.

عندها قال عمر كلمته المشهورة:

والله لا أسبقك إلى شيء أبداً.

كانت هذه الصدقات علنية، يراها الناس جميعًا، لكنها لم تكن رياءً، بل كانت **قدوة تشعل روح العطاء في المجتمع**.

أحيانًا يكون الخير العلني شرارة تشعل قلوب الآخرين.

صدقة لا يراها أحد

حين يكون الله وحده الشاهد

لكن في المقابل هناك نوع آخر من العطاء...

عطاء لا تصاحبه كاميرا، ولا منشور، ولا تصفيق.

عطاء لا يراه أحد.

إلا الله.

في حي فقير بمدينة حديثة، كانت هناك سيدة تقدم طعامًا للأطفال كل ليلة، لكن بطريقة سرية: تترك الوجبات عند باب كل منزل، ولا يعرف أحد من هي.

ذات يوم، اكتشف طفل فقير هويتها، فقال لها: الله وحده يعلم من أنت... لكنه يعرف أنك ملاك بالنسبة لنا.

صدقة السر ليست مجرد تصرف خفي، إنها مدرسة للإخلاص:

وقد وصف النبي ﷺ هذا المشهد بكلمات تهز القلب:

رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه. (رواه البخاري و الترمذي)

صورة بليغة لقمة الإخلاص.

يد تعطي...

ولا يدري بها أحد.

لا الناس. ولا حتى أقرب الناس.

فقط الله.

لماذا الصدقة السرية عظيمة؟

ذكر العلماء حكمًا عميقة لفضل صدقة السر، منها:

حماية القلب

الرياء مرض خفي قد يتسلل إلى القلب دون أن يشعر صاحبه.

وعندما يكون العمل خفيًا، يصبح الطريق إلى الرياء أضيق بكثير.

حفظ كرامة الفقير

الفقر مؤلم...

لكن إعلان الفقر أمام الناس قد يكون أشد ألمًا.

الصدقة العلنية قد تجعل الفقير يشعر بثلاثة أشياء:

فقره

حاجته

نظرة الناس إليه

أما صدقة السر فهي رسالة رقيقة تقول:

نحن نساعدك... لكننا نحفظ كرامتك.

تربية النفس

النفس تحب المدح بطبيعتها.

لكن الأعمال الخفية تربي الإنسان على الإخلاص الحقيقي.

قصص من الواقع

رجل يترك المال في ظرف على باب فقير قبل الفجر، والفقير لا يرى من أرسله.

شاب يشتري أدوية لطفل مريض ويتركها في مستشفى دون أن يعرف أحد هويته.

جمعية توزع أكياس الطعام في الشوارع ليلاً، والناس يستفيدون دون أن يعرفوا من الفاعل.

كل هذه أمثلة حية لمعنى الآية: العطاء ليس فقط رؤية الآخرين، بل رضا الله أولًا وأخيرًا.

مفاجأة في الآية

الصدقة أوسع من حدود الدين

من المعاني الجميلة في الآية أن الله قال:

وتؤتوها الفقراء

ولم يقل: فقراء المسلمين.

وقد فهم العلماء من ذلك أن **الصدقة التطوعية يجوز أن تُعطى للمحتاج أيًّا كان دينه.**

فالرحمة في الإسلام ليست محصورة.

وقد قال النبي ﷺ:

في كل كبد رطبة أجر.(رواه البخارى)

أي أن الرحمة بكل مخلوق حي فيها أجر.

ولهذا امتلأت الحضارة الإسلامية عبر تاريخها بمظاهر التكافل الإنساني.

لماذا يوجد فقراء؟

قد يطرح البعض سؤالًا صعبًا:

إذا كان الله قادرًا... فلماذا لم يجعل الناس جميعًا أغنياء؟

القرآن يجيب عن هذا السؤال بطريقة عميقة.

الحياة ليست مجرد توزيع أموال.

إنها منظومة إنسانية متكاملة تقوم على:

الرحمة

التعاون

التكافل

وجود الغني والفقير يذكّر الإنسان بحقيقة مهمة:

القوة التي عندك اليوم قد لا تبقى لك غدًا.

اليوم أنت قادر...

وغدًا قد تحتاج.

ولهذا فإن التشريع الذي يطلب منك العطاء اليوم، قد يصبح يومًا ما حماية لك.

أمثلة تحفر القلب

رجل في قرية قديمة كان على وشك أن يسقط في حفرة كبيرة أثناء جمع الحطب. لكن فجأة وجدت بجانبه قطعة خبز تركها محتاج آخر كتقدير، أنقذته من السقوط.

طفل يتعلم الكلمة الطيبة صدقة، كل يوم يبتسم لأقرانه في المدرسة، ويجد أن أثره يصل أبعد مما يتصور.

الصدقة ليست فقط مالًا، بل كلمة طيبة، ابتسامة، إزالة أذى، أو أي عمل يخفف عن الناس.

أيهما أفضل؟

بعد دراسة الآية، لخّص العلماء المسألة في قاعدة جميلة:

صدقة الفريضة (كالزكاة): الأفضل إعلانها لأنها شعيرة.

صدقة التطوع: الأفضل إخفاؤها لأنها أقرب للإخلاص.

لكن هناك استثناء مهم:

إذا كان إعلان الصدقة سيشجع الناس على الخير، فقد يكون الإعلان أفضل.

الميزان الحقيقي

تنتهي الآية بعبارة قصيرة لكنها عميقة:

والله بما تعملون خبير.

فالله لا يرى فقط:

كم أعطيت

ولمن أعطيت

بل يرى أيضًا:

لماذا أعطيت.

هل أعطيت لأن الكاميرا موجودة؟

أم لأن قلبك أراد رضا الله؟

أيهما أفضل؟

الصدقة الفرضية (كالزكاة): الأفضل إعلانها.

صدقة التطوع: الأفضل إخفاؤها، إلا إذا كان الإعلان سيشجع الآخرين على الخير.

ميزان النية

والله بما تعملون خبير.

الله يرى نيتك أكثر من أي شيء آخر.

لو لم ير أحد صدقتك، هل كنت ستفعلها؟

إن كانت الإجابة نعم، فقد فهمت معنى العطاء حقًا.

الخلاصة

العطاء في الإسلام ليس مجرد تحويل مال من يد إلى يد.

إنه **عبادة قلبية**.

صدقة العلن قد تكون قدوة.

صدقة السر قد تكون إخلاصًا.

لكن **النية هي الميزان الحقيقي**.

وفي عالم يمتلئ بالضجيج والاستعراض، يبقى السؤال الصادق الذي ينبغي لكل إنسان أن يطرحه على نفسه:

لو لم ير أحد صدقتك...

هل كنت ستفعلها؟

إن كانت الإجابة نعم...

الفصل العشرون

بين يمينٍ لا تُرى... وقلبٍ يراه الله فقط

ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه

(رواه البخاري و الترمذي)

تخيّل المشهد...

رجلٌ يمدّ يده...

يعطي...

ثم يمشي وكأن شيئًا لم يكن.

لا صورة.

لا منشور.

لا هاشتاق.

ولا حتى دعواتكم في آخر الرسالة.

هذا هو الرجل الذي وصفه النبي ﷺ بقوله:

ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه (رواه البخاري و الترمذي)

حديث رواه الإمام الإمام مسلم، وجاء بلفظه المشهور عند الإمام البخاري وغيره بعبارة:

حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه.

المعنى؟

درجة من الإخفاء... لو كانت يدك اليسرى تعقل، لما عرفت ماذا فعلت اليمنى!

ليس المقصود لعبة حركية

ولا أن تُدخل يدك اليسرى في جيبك حتى لا ترى اليمنى!

المقصود: صدقة لا يعرفها أحد... إلا الله.

ما هي الصدقة أصلًا؟

الصدقة ليست مجرد مبلغ يُدفع.

هي إعلان صامت عن صدق إيمانك.

سُمّيت صدقة... لأنها دليل **الصدق.**

صدقك مع الله.

صدقك في الإيمان بوعده.

النبي ﷺ قال:

والصدقة برهان (رواه مسلم)

برهان على ماذا؟

على أنك تصدق أن ما عند الله خير وأبقى.

الناس يدفعون المال مقابل شيء:

سلعة.

خدمة.

مصلحة.

حتى الضرائب يدفعونها على مضض!

أما المتصدق...

فيدفع بلا مقابل من البشر.

لماذا؟

لأنه يتعامل مع الله.

والله يعطي على القليل كثيرًا.

الصدقة والزكاة... هل هما شيء واحد؟

نعم، في الأصل الشرعي هما بمعنى واحد.

قال تعالى:

خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً (التوبة 103)

إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ (التوبة 60)

لكن جرى العرف أن تُطلق الصدقة غالبًا على التطوع،

والزكاة على الفريضة.

وهنا تأتي القاعدة الذهبية

الفريضة: إعلانها أفضل.

التطوع: إخفاؤه أفضل.

لماذا؟

لأن التطوع أقرب أن يتسلل إليه الرياء...

والقلب هشّ... والنفس تحب التصفيق

لماذا الإخفاء أجمل أحيانًا؟

لأنك حين تخفي:

تحمي قلبك من العُجب.

تحمي الفقير من الحرج.

تحمي عملك من الضياع.

الله يقول:

وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ (البقرة 271)

تخيل فقيرًا متعففًا...

القرآن وصفه بقوله:

يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ (البقرة 273)

هذا لا يريد أن يُكسر قلبه أمام الناس.

إعطاؤه سرًا... جبرٌ مضاعف.

صدقة لا تشبه ما تعتقد

ليست الصدقة دائمًا ظرفًا أبيض.

أحيانًا تكون ذكاءً رحيمًا.

تشتري من فقير سلعة بعشرين...

وتدفع ثلاثين.

الفرق صدقة.

والشراء دعم لكرامته.

أحيانًا تكون:

إنظار معسر.

الله يقول:

وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ

والنبي ﷺ قال

من أنظر معسرًا أو وضع عنه أظله الله في ظله (رواه مسلم)

أن تؤجل...

أن تسامح...

أن تتنازل...

هذه صدقات لا تُلتقط لها صور... لكنها تُرفع مباشرة إلى السماء.

ومتى يكون الإعلان أجمل؟

ليس دائمًا الإخفاء هو الأفضل.

أحيانًا الإعلان يصنع موجة خير.

في غزوة تبوك — جيش العسرة —

وقف الصحابة يتسابقون في الإنفاق.

هنا تألق اسم عثمان بن عفان.

مئة بعير.

ثم مئتان.

ثم ثلاثمئة.

وألف دينار.

حتى قال النبي ﷺ:

ما ضرّ عثمان ما عمل بعد اليوم (رواه البخارى)

الإعلان يصبح فضيلة عندما:

يشجع الناس.

يفتح باب تنافس في الخير.

يخدم مصلحة عامة: مسجد، مدرسة، إغاثة.

وهذا يدخل في حديث:

من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها (رواه ابن ماجه)

المنافسة... لكن هذه المرة للآخرة

التنافس على الدنيا يولّد حسدًا.

أما التنافس على الآخرة...

فيولّد حبًا.

حين ترى إنسانًا ينفق بسخاء...

إما أن تحقد.

أو تقول: أريد أن أكون مثله.

الفرق في القلب.

بعض الناس يحضر حفل تبرعات بنيّة أن يدفع مئة...

ثم يرى من يدفع عشرة آلاف...

فتسمو نفسه.

هنا الإعلان كان سلّمًا للارتقاء.

قصة رجل لا يعرفه أحد... ويعرفه أهل السماء

كان علي زين العابدين يحمل أكياس الطعام ليلًا على ظهره،

يوزعها سرًا على فقراء المدينة.

فلما مات...

اكتشفوا أنه كان يعيل مئة أسرة.

وقالوا:

ما فقدنا صدقة السر... حتى مات علي بن الحسين.

هذا هو الإخلاص...

أن يعرفك الله...

ولا يعرفك الناس.

أخطر شيء... ليس قلة الصدقة

بل فساد النية.

الإمام أبو حامد الغزالي قال:

حب الجاه أخطر من حب المال.

قد تتصدق لتتخلص من البخل...

ثم تقع في حب الثناء.

ولهذا كان من دعاء عمر بن الخطاب:

اللهم اجعل عملي كله صالحًا، واجعله لوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه شيئًا.

الإخلاص الحقيقي؟

أن يكون عملك في السر... كهو في العلن.

لا يتغير.

هل الثناء يبطل العمل؟

لا.

سُئل النبي ﷺ عن رجل يعمل العمل فيحمده الناس عليه، فقال:

تلك عاجل بشرى المؤمن (رواه مسلم)

الفرق دقيق:

إن عملت لأجل الثناء = رياء.

إن أثنى الناس بعد إخلاصك = بشرى.

في النهاية... القرار بيدك

كل صباح...

ينزل ملكان.

أحدهما يقول:

اللهم أعطِ منفقًا خلفًا.

والآخر يقول:

اللهم أعطِ ممسكًا تلفًا. (رواه البخاري و الترمذي)

السؤال ليس:

هل تتصدق؟

السؤال:

كيف؟

ولماذا؟

ولأجل من؟

بين يمينٍ تعطي...

وقلبٍ يخفي...

وربٍ يرى...

هناك قصة تُكتب لك في السماء

فاختر أن تكون بطلها

الفصل الحادي و العشرون

الذين لا يسألون... ولكن قلوبهم تتكلم

**لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِ
يعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِ
يَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ ا
لنَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ
عَلِيم**

(البقرة 273)

تخيل معي هذا المشهد...

رجلٌ يمرّ بجانبك كل يوم. ثيابه نظيفة، صوته هادئ، ملامحه مطمئنة. لا يمدّ يده، لا يشتكي، لا يلمّح حتى.

لو سألت عنه لقالوا: أمورُه طيبة.

لكن الحقيقة؟

في داخله قصة صبرٍ لا تُحكى... وحاجةٌ لا تُقال.

هنا يأتي القرآن ليلتقط الصورة التي لا تراها العيون المستعجلة:

يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ

الجاهل يظنهم أغنياء...

ليس لأن عندهم مالاً، بل لأن عندهم *كرامة*

إنهم يتجملون كي لا تظهر حاجتهم

من هم هؤلاء؟

هم الذين **أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ**

وكلمة أُحصِروا لم تأتِ عبثاً. جاءت بالبناء للمجهول... كأن الآية تقول لك:

فقرهم لم يكن بسبب كسل،

ولا بسبب تهاون،

ولا بسبب سوء تدبير.

بل لأن الظروف حاصرتهم.

إما مرضٌ أقعدهم،

أو جهادٌ شغلهم،

أو تضحيةٌ جرّدتهم من مالهم.

هم الذين قدّموا المبادئ على المصالح.

اختاروا الطريق الأصعب... فدفعوا الثمن بصمت

و قوله **في سبيل الله** تكريم وتشريف لهم ، أي أن ما نزل بهم من فقر واحتياج كان بسبب إيثارهم إعلاء كلمة الله على أي شيء آخر ، ففي سبيل الله هاجروا ، وفي سبيل الله تركوا أموالهم فصاروا فقراء

لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ

أي لا يقدرون على السعي خلف الرزق.

ليس لأنهم لا يريدون، بل لأنهم **لا يستطيعون**.

تخيل إنساناً قلبه يريد أن يعمل، أن يكسب، أن يعطي...

لكن الظروف تشدّه من أطرافه.

ومع ذلك؟

لا يشكو.

لا يمدّ يده.

لا يحوّل حاجته إلى عرضٍ عام.

يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ

الجاهل يرى المظهر.

أما صاحب البصيرة فيرى ما خلف الملامح.

القرآن يقول:

تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُم

السيما ليست بطاقة تعريف.

ليست لافتة مكتوب عليها: محتاج.

إنها شيء أعمق...

خشوع في النظرة،

حياء في الابتسامة،

وقارٌ فيه شيء من التعب،

صمتٌ يحمل أكثر مما يقول.

هي إشارات لا يلتقطها إلا أصحاب القلوب الحيّة.

وفي الحديث:

اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله. (رواه البخاري و الترمذي)

السؤال هنا ليس: هل هم محتاجون؟

السؤال: **هل أنت منتبه؟**

لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا

والأدق: لا يسألون أصلاً.

لو كانوا يسألون، لما احتجنا أن نعرفهم بسيماهم.

ولو كانوا يلحّون، لما ظنهم الجاهل أغنياء.

هم لا يريدون أن تتحول كرامتهم إلى مفاوضة.

ولا أن يصبح احتياجهم موضوع حديث.

رسول الله ﷺ قال لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي بحزمة حطب على ظهره خير له من أن يسأل الناس (رواه البخارى)

وقال أيضاً ليس المسكين الذي ترده اللقمة واللقمتان... إنما المسكين الذي يتعفف (رواه البخارى)

المسكين الحقيقي ليس الذي يطلب...

بل الذي **يصبر دون أن يُرى.**

لقطة إنسانية... تهز القلب

رجلٌ طرق باب أحد الصالحين.

دخل الرجل ثم خرج فأعطاه شيئاً.

ثم عاد إلى بيته باكياً.

سألته زوجته:

أعطيته، فلماذا تبكي؟

قال:

أبكاني أني تركته حتى يسألني.

كم من مرة انتظرنا السؤال...

مع أن العلامات كانت واضحة؟

القرآن لا يريد منك أن تكون معطاءً فقط،

بل أن تكون فطناً.

أن ترى قبل أن يُقال لك.

أن تشعر قبل أن يُصرّح لك.

أن تبادر قبل أن يُحرَج أخوك بالسؤال.

الصدقة الراقية... ليست مجرد مال

أرقى الصدقات ليست تلك التي تُنشر في الصور.

ولا التي تُحكى في المجالس.

أرقاها...

ما يصل إلى العفيف خفية،

بأسلوبٍ لا يكسر خاطره،

ولا يجرح حياءه.

ولهذا جاء التعقيب الرباني مطمئناً:

وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ

كأن الله يقول لك:

لا تقلق إن لم يرك أحد.

لا تنتظر شكراً.

لا تبحث عن تصفيق.

أنا أعلم.

وأنا أجازي.

رسالة هذا الفصل في جملة واحدة

أرقى الفقراء... هم الذين لا يسألون.

وأرقى الصدقات... هي التي تُعطى لهم قبل أن يطلبوا.

فالسؤال الحقيقي اليوم:

حين تمرّ بوجهٍ صامت...

هل تراه بعينك فقط؟

أم بقلبك أيضاً؟

الفصل الثاني والعشرون

لا تكسِر قلبًا...
فربما كان بابك طريقه إلى الله

أما السائل فلا تنهر

(الضحى 10)

تخيّل المشهد...

بابك يُطرق.

رسالة تصل في خاصّك.

اتصال في وقت غير مناسب.

أحدهم يسأل...

السؤال بسيط، لكن ردّة فعلك؟

قد تكون فاصلة بين جبر خاطر... أو كسر قلب

الله يذكّرك: كنتَ هناك يومًا...

سورة الضحى نزلت تذكّر النبي ﷺ بنِعم الله عليه:

وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى (الضحى 8)

أي: كنت محتاجًا... فأغناك الله.

فكيف يكون الشكر؟

أما السائل فلا تنهر(الضحى 10)

المعادلة واضحة:

كما جبرك الله... اجبر.

كما أغناك... أعطِ.

كما احتواك... احتوِ.

من هو السائل

ليس فقط من يمد يده بالمال.

العلماء قالوا:

السائل عن المال

السائل عن العلم

السائل عن الهداية

قال قتادة بن دعامة:

ردّ السائل برحمةٍ ولين

وقال إبراهيم بن أدهم كلمة تهز القلب:

السؤال يحملون زادنا إلى الآخرة

تخيّل!

هو يظن أنه يأخذ منك...

وفي الحقيقة هو يمنحك فرصة رصيد في السماء

السائل عن العلم... أخطر امتحان للأخلاق

بعض الناس لا يطلب مالًا، بل يطلب جوابًا.

يسألك: ما حكم هذا؟ لماذا كذا؟ كيف أفهم كذا؟

الله تعالى يقول:

لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ (آل عمران 187)

العلم أمانة.

والسؤال ثقة.

تخيّل طالبًا يقف أمام معلمه، يراه أعلى منزلة، ثم يُقابل بعبوس أو توبيخ!

هنا لا نخسر سؤالًا... بل قد نخسر روحًا متعطشة للحق.

قال النبي ﷺ:

من لا يَرحم لا يُرحم

البساطة هنا عميقة جدًا:

إن أردت رحمة الله... ارحم ضعف الناس.

من التاريخ... كيف كانوا؟

النبي ﷺ نفسه كان قمّة في الحِلم مع السائلين.

جاءه أعرابي فجبذه بردائه حتى أثّر في عنقه، ثم قال: أعطني من مال الله!

فماذا فعل؟

ابتسم... وأعطاه. (رواه البخاري و الترمذي)

هذا ليس ضعفًا.

هذا علوّ نفس.

وفي سيرة الحسن البصري أنه قال في تفسير الآية:

السائل: طالب العلم.

تخيّل مجتمعًا يُكرَّم فيه من يسأل!

لا يُحرَج... لا يُسخَر منه... لا يُتَّهَم بالجهل.

في عصرنا... كيف ننهر الناس دون أن نشعر؟

تعليق ساخر تحت سؤال مبتدئ.

غوغلها! بدل جواب طيب.

نظرة استعلاء.

ردّ جاف في رسالة.

النهر ليس صراخًا فقط.

قد يكون نبرة.

قد يكون تجاهلًا.

قد يكون Seen بلا رد

الآية اليوم تُترجم هكذا:

لا تحرج.

لا تحتقر.

لا تُشعره أنه ثقيل.

هل هناك استثناء؟

نعم.

إن كان السائل متلاعبًا بالدين، يجمع الفتاوى ليختار الأسهل، أو غنيًا يتسول كذبًا — فالتأديب هنا رحمة به.

التوبيخ حينها ليس كِبرًا... بل حماية للقيم.

لكن الأصل؟

اللين.

الرفق.

الإحسان.

قاعدة ذهبية للحياة

قبل أن تنهر سائلًا...

تذكّر لحظة كنتَ فيها أنت السائل.

سألتَ عن وظيفة.

سألتَ عن نصيحة.

سألتَ عن دعم.

سألتَ الله نفسه باكيًا في جوف الليل.

فهل نهرك؟

أم فتح لك بابًا؟

الرسالة الأخيرة

وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ

ليست آية عن الصدقة فقط.

إنها دستور تعامل.

مقياس أخلاق.

اختبار إنسانية.

كل سائل باب.

إما أن تعبر منه إلى الأجر...

أو تُغلقه في وجهك يوم تحتاج من يفتح لك.

فاختر دائمًا أن تكون جابرًا...

لا كاسرًا

الفصل الثالث والعشرون

لا توَجِّل العطاء...
أعطِ وأنت في ذروة الحياة

أن تصدق وأنت صحيح شحيح، تخشى الفقر وتأمل الغنى، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا

(رواه البخاري و الترمذي)

تخيَّل لو وصلك إشعار الآن على هاتفك:

أعظم صدقة؟ أن تعطي وأنت صحيح... شحيح... تخشى الفقر... وتأمل الغنى.

قد تظن أنها جملة تحفيزية من حساب تطوير ذات.

لكن الحقيقة أنها جواب نبي الرحمة ﷺ عندما سُئل سؤالًا بسيطًا وعميقًا في الوقت نفسه.

يروي الصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه:

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال:

يا رسول الله، أي الصدقة أعظم أجرًا؟

فقال النبي ﷺ:

أن تصدق وأنت صحيح شحيح، تخشى الفقر وتأمل الغنى، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا. (رواه البخاري و مسلم)

هذا الحديث ليس مجرد توجيه للصدقة.

بل تشريح دقيق للنفس البشرية.

لماذا قال: وأنت صحيح شحيح؟

لأن العطاء الحقيقي لا يُقاس بكمية المال فقط.

بل بالمعركة الداخلية التي سبقت العطاء.

تأمل الوصف النبوي:

أنت:

صحيح الجسد

تحب المال

تخشى المستقبل

تخطط للغنى

لديك أحلام ومشاريع

بمعنى آخر:

أنت في قمة تعلقك بالدنيا.

ومع ذلك... تعطي.

هنا تحديدًا يكون الأجر أعظم.

ولهذا قال الله تعالى:

لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ (آل عمران 92)

الإنفاق من الفائض جميل.

لكن الإنفاق من المحبوب هو الذي يصنع البر الحقيقي.

المشكلة ليست في البخل... بل في التأجيل

أخطر كلمة في حياة كثير من الناس ليست لا.

بل كلمة:

لاحقًا.

النبي ﷺ حذر من هذا التسويف فقال:

ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم...

أي: لا تؤجل الصدقة حتى تأتي لحظة الاحتضار.

تلك اللحظة التي يبدأ فيها الإنسان يقول:

أعطوا فلانًا كذا

وتصدقوا بكذا

وسددوا كذا

لكن الحقيقة المؤلمة...

أن المال في تلك اللحظة لم يعد ملكه كاملًا.

بل أصبح متعلقًا بالورثة.

ولهذا قال النبي ﷺ:

وقد كان لفلان.

أي: صار المال لغيرك.

مشهد الندم الذي رسمه القرآن

القرآن يصور هذا المشهد بدقة مؤثرة:

وَأَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ (المنافقون 10)

لاحظ كلمة:

فأصدق

كأن أول شيء يتذكره الإنسان عند النهاية هو:

العطاء الذي أخّره.

مدرسة الصحابة: العطاء في القمة

جيل الصحابة فهم هذا المعنى مبكرًا.

في غزوة تبوك حدث موقف مشهور.

جاء الصحابي العظيم أبو بكر الصديق رضي الله عنه بماله كله.

فسأله النبي ﷺ:

ما أبقيت لأهلك؟

فقال:

أبقيت لهم الله ورسوله.

وفي اليوم نفسه جاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه بنصف ماله.

كانا يتنافسان...

لكن ليس في التجارة.

بل في العطاء.

لم ينتظروا نهاية العمر.

لم يقولوا: عندما نكبر.

بل أعطوا وهم في ذروة الحياة.

الخوف من الفقر... الصوت الذي يتكرر دائمًا

كل إنسان يعرف هذا الصوت الداخلي:

احتفظ بالمال... قد تحتاجه.

القرآن كشف مصدر هذا الصوت منذ قرون:

الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ

لكن الله يضع المعادلة المقابلة:

وَمَا أَنفَقْتُم مِن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ

وفي الحديث النبوي:

ما نقص مال من صدقة. (رواه مسلم)

في الحسابات الأرضية:

العطاء = نقص.

لكن في الحسابات الإلهية:

العطاء = بركة.

قصة من واقع الحياة

شاب كان يقف في متجر صغير.

فتح محفظته...

فوجد فيها ورقة نقدية واحدة فقط.

هي كل ما يملك حتى نهاية الأسبوع.

كان يفكر:

هل أشتري طعامًا... أم أحتفظ بها للمواصلات؟

بينما كان يفكر، سمع رجلًا خلفه يقول للبائع:

هل يمكن أن آخذ نصف الكمية فقط؟ هذا كل ما أستطيع دفعه.

كان صوته يحمل تعبًا واضحًا.

في تلك اللحظة بدأ صراع صامت داخل الشاب.

صوت يقول:

أنت تحتاج المال.

وصوت آخر يقول:

لكنك تفهم شعوره.

بعد لحظة صمت...

أخرج الورقة النقدية.

ودفع ثمن ما يحتاجه الرجل.

خرج من المتجر... ومحفظته فارغة.

لكن قلبه كان هادئًا بشكل غريب.

بعد يومين...

اتصل به صاحب عمل قديم.

كانت هناك مستحقات مالية تأخرت أشهرًا.

لم يكن مبلغًا ضخمًا.

لكن المدهش...

أنه جاء في اللحظة التي احتاجه فيها بالضبط.

لماذا يكون العطاء في الضيق أعظم؟

لأن العطاء في الوفرة يحدث من الفائض.

أما العطاء في الضيق...

فيحدث من الثقة.

ولهذا وصف الله أهل الإيمان بقوله:

وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ (الحشر 9)

أي:

يعطون رغم حاجتهم.

وهنا يتحول العطاء من تصرف...

إلى إيمان.

الصدقة في زمن الترند

نحن نعيش في زمن استهلاك سريع:

هاتف جديد كل عام

اشتراكات متعددة

قهوة يومية قد تكفل يتيمًا شهرًا كاملًا

السؤال ليس:

هل نملك؟

السؤال الحقيقي:

هل نؤجل؟

الحديث النبوي يختصر الطريق:

لا تنتظر أن تشعر أنك مستغنٍ.

لأنك غالبًا...

لن تشعر بذلك أبدًا.

كيف تطبق هذا الحديث اليوم؟

ببساطة شديدة:

اجعل للصدقة بندًا ثابتًا في ميزانيتك

خصص نسبة شهرية ولو صغيرة

اربطها بمشروع واضح

أعطِ من شيء تحبه فعلًا

اجعل بعض صدقاتك سرًا

وتذكر:

أعظم صدقة ليست الأكبر رقمًا...

بل الأصعب على النفس.

الخلاصة: القرار يحدث الآن

هذا الحديث لا يتحدث عن لحظة موت.

بل عن لحظة وعي.

أن تعطي...

وأنت قادر على الاحتفاظ.

أن تثق بالله...

أكثر من ثقتك برصيدك.

أن تستثمر في الآخرة...

قبل أن يُغلق الحساب.

ربما لن يُطلب منك أن تتصدق بكل مالك.

لكن يُطلب منك شيء أبسط بكثير:

ألا تؤجل قلبك.

لأن العطاء اليوم...

أعظم أجرًا من العطاء غدًا.

فخ التأجيل

هناك عادة خطيرة يقع فيها كثير من الناس.

ليس البخل.

بل التأجيل.

نقول لأنفسنا:

عندما يزيد راتبي...

عندما ينجح مشروعي...

عندما أستقر ماليًا...

سأتصدق.

لكن النبي ﷺ حذر من هذا الفخ عندما قال:

ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم...

أي لا تنتظر لحظة الاحتضار.

لأن تلك اللحظة تأتي فجأة.

وفجأة يبدأ الإنسان يقول:

أعطوا فلانًا كذا...

وتصدقوا بكذا...

لكن الحقيقة التي كشفها الحديث صادمة:

وقد كان لفلان.

أي أن المال لم يعد لك أصلًا.

لقد صار للورثة.

قصة قصيرة من واقع الحياة

كان شاب يقف أمام ماكينة القهوة.

فتح تطبيق البنك في هاتفه.

رصيده يكفي بالكاد حتى نهاية الأسبوع.

وبينما كان يفكر في مصاريفه، وصله إشعار من حملة تبرعات.

أسرة تحتاج إلى علاج عاجل لطفلها.

المبلغ المطلوب ليس كبيرًا.

لكنه بالنسبة له... ليس صغيرًا أيضًا.

جلس دقيقة كاملة ينظر إلى الشاشة.

ثم ضغط زر التبرع.

بعد أسبوعين...

عرض عليه مديره في العمل مشروعًا إضافيًا صغيرًا.

ذلك المشروع أصبح لاحقًا سبب ترقية غير متوقعة.

هل كانت الصدقة السبب المباشر؟

لا أحد يستطيع الجزم.

لكن شيئًا واحدًا كان واضحًا بالنسبة له:

الطمأنينة التي شعر بها يوم التبرع كانت أغلى من المال نفسه.

السر الذي يغير المعادلة

العطاء في وقت الوفرة سهل.

لكن العطاء في وقت الحاجة...

يغير الإنسان نفسه.

لهذا مدح الله الذين:

وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ (الحشر 9)

الخصاصة تعني:

الحاجة الحقيقية.

أي أنهم لم يعطوا لأنهم لا يحتاجون.

بل أعطوا رغم أنهم يحتاجون.

وهنا يتحول العطاء من فعل عابر...

إلى إيمان حي.

عالم الاستهلاك السريع

نحن نعيش في زمن غريب.

هاتف جديد كل سنة.

اشتراكات كثيرة.

طلبات يومية من التطبيقات.

أحيانًا ننفق في أسبوع ما يمكن أن يغير حياة إنسان آخر.

لكن المشكلة ليست في قلة المال.

المشكلة في نسيان العطاء وسط ضجيج الاستهلاك.

ولهذا يعيدنا الحديث النبوي إلى سؤال بسيط:

هل نؤجل الصدقة...

أم نجعلها جزءًا من حياتنا؟

كيف تبدأ اليوم؟

لا تحتاج إلى ثروة لتبدأ.

كل ما تحتاجه قرار بسيط.

أن تجعل العطاء عادة.

بعض الخطوات الصغيرة قد تصنع فرقًا كبيرًا:

خصص نسبة ثابتة من دخلك للصدقة

ادعم مشروعًا إنسانيًا تؤمن به

اجعل بعض صدقاتك سرًا لا يعلمها أحد

أعطِ من شيء تحبه، لا من الفائض فقط

وتذكر دائمًا:

أعظم صدقة ليست الأكبر رقمًا...

بل التي انتصرت فيها على خوفك.

اللحظة التي يتغير فيها كل شيء

في النهاية...

الحياة مليئة بالقرارات الصغيرة.

لكن بعض القرارات تغيرك من الداخل.

الصدقة واحدة من تلك القرارات.

إنها اللحظة التي تقول فيها لنفسك:

لن أعيش أسير الخوف.

سأثق بالله أكثر من ثقتي بالأرقام في حسابي.

وربما لهذا قال النبي ﷺ إن أعظم الصدقة هي:

أن تعطي...

وأنت ما زلت تحب المال.

وما زلت تخشى الفقر.

وما زلت تحلم بالغنى.

لأن تلك اللحظة...

ليست مجرد صدقة.

إنها انتصار للقلب على الخوف.

قصص غيّرت معنى العطاء

أحيانًا لا نفهم الفكرة جيدًا...

حتى نراها مجسدة في قصة.

التاريخ الإسلامي مليء بمواقف لم يكن العطاء فيها مجرد صدقة،

بل قرار شجاعة إيمانية.

دعنا نعود قليلًا إلى تلك اللحظات.

عندما وضع ثروته كلها على الطاولة

كان الجيش يستعد لواحدة من أصعب الحملات في التاريخ الإسلامي.

إنها غزوة تبوك.

الحر شديد.

المسافة طويلة.

والإمكانات قليلة.

طلب النبي ﷺ من المسلمين أن يساهموا في تجهيز الجيش.

بدأ الصحابة يأتون بما يستطيعون.

ثم حدث مشهد لن يُنسى.

دخل الصحابي العظيم أبو بكر الصديق رضي الله عنه وهو يحمل ماله كله.

نعم... كله.

نظر إليه النبي ﷺ وسأله سؤالًا بسيطًا:

ما أبقيت لأهلك؟

كان يمكن أن يقول:

أبقيت نصفه...

أو الثلث...

لكنه قال جملة أصبحت من أعظم عبارات الإيمان في التاريخ:

أبقيت لهم الله ورسوله.

لم يكن يائسًا من الحياة.

لم يكن يحتضر.

كان في قمة قوته.

وهذا هو المعنى الحقيقي للعطاء الذي تحدّث عنه الحديث.

المنافسة التي لم تكن على المال... بل على العطاء

في اليوم نفسه جاء صحابي آخر.

إنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

جاء بنصف ماله.

يقول عمر لاحقًا:

قلت اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يومًا.

لكن عندما رأى ما فعله أبو بكر، قال جملة صادقة:

والله لا أسبقه إلى شيء أبدًا.

تخيل مجتمعًا يتنافس فيه الناس...

ليس على من يملك أكثر.

بل على من يعطي أكثر.

عندما كانت الصدقة تأتي في وقت الحاجة

ليست كل القصص عن الأغنياء.

هناك قصة مذهلة عن أسرة من الأنصار.

جاء ضيف إلى النبي ﷺ وكان جائعًا.

سأل النبي أصحابه من يستضيفه.

أخذه رجل من الأنصار إلى بيته.

لكن المشكلة كانت بسيطة وصعبة في الوقت نفسه:

لم يكن في البيت إلا طعام قليل للأطفال.

نظر الزوج إلى زوجته.

وكان القرار غير المتوقع.

قال لها:

أطفئي السراج...

وتظاهري أننا نأكل معه.

وجلس الضيف يأكل... بينما هم يتظاهرون بالأكل.

في الصباح أخبر النبي ﷺ بما حدث.

فنزل فيهم قول الله تعالى:

وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ (الحشر 9)

هذه ليست قصة عن المال.

إنها قصة عن القلب.

قصة حديثة من زمن الإنترنت

قد تظن أن مثل هذه المواقف انتهت.

لكن العالم اليوم مليء بقصص مشابهة.

في إحدى منصات التواصل الاجتماعي انتشر مقطع لشاب يعمل في توصيل الطلبات.

كان يسلم طلبًا لامرأة مسنّة.

وعندما عرف أنها تعيش وحدها ولا تستطيع دفع كامل المبلغ...

أخرج المال من جيبه ودفع الفاتورة عنها.

ظن أن الأمر انتهى.

لكن المقطع انتشر بشكل هائل.

وفي أيام قليلة...

بدأ الناس يرسلون له تبرعات وهدايا وفرص عمل.

تحول موقف صغير من العطاء...

إلى قصة ألهمت آلاف الناس.

حملة بدأت بتغريدة

في إحدى المنصات الاجتماعية كتب شاب تغريدة بسيطة:

نريد جمع تبرعات لعلاج طفل مريض.

لم يكن يتوقع شيئًا كبيرًا.

لكن خلال ساعات...

بدأ الناس يشاركون المنشور.

ثم شاركه مؤثرون.

ثم شاركته مؤسسات.

وفي أقل من 24 ساعة...

تم جمع المبلغ كاملًا.

هذه هي قوة العطاء عندما يجتمع مع نية صادقة.

لماذا تلمسنا هذه القصص؟

لأنها تذكرنا بشيء مهم.

العطاء ليس مسألة ثروة.

بل مسألة قلب.

أبو بكر الصديق لم يُخلّد في التاريخ لأنه كان غنيًا فقط.

بل لأنه كان أكثر الناس ثقة بالله.

والشاب الذي دفع الفاتورة لم يكن مليونيرًا.

لكنه اتخذ قرارًا بسيطًا في لحظة إنسانية.

الحقيقة التي يجمع عليها التاريخ والواقع

من قصص الصحابة...

إلى قصص الإنترنت اليوم...

تظهر حقيقة واحدة:

العطاء لا يغير حياة الآخرين فقط.

بل يغير صاحب العطاء نفسه.

يجعله:

أهدأ قلبًا

أوسع صدرًا

أكثر ثقة بالله

ولهذا قال النبي ﷺ إن أعظم الصدقة هي:

أن تعطي...

وأنت ما زلت تحب المال.

وما زلت تخشى الفقر.

لأن تلك اللحظة...

هي اللحظة التي ينتصر فيها الإيمان على الخوف.

الفصل الرابع و العشرون

قبل أن تُغلق الأبواب

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ ۗ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ

(البقرة 254)

تخيّل معي هذا المشهد...

يومٌ لا يشبه أي يوم.

لا بنوك.

لا تحويلات.

لا دبّرها.

لا أعرف شخصًا يساعدنا.

لا الأمور تُحلّ.

يومٌ تُغلق فيه كل المنافذ التي اعتدنا الاتكاء عليها.

الله ينادي:

يا أيها الذين آمنوا... أنفقوا

الخطاب للمؤمنين، لا للعصاة فقط.

كأن الرسالة تقول:

إيمانك الحقيقي سيظهر هنا... في يدك، لا في لسانك.

المال ليس ملكك... بل أمانة بين يديك

لاحظ التعبير القرآني:

مِمَّا رَزَقْنَاكُم

لم يقل: من أموالكم.

بل قال: مما رزقناكم.

رسالة عميقة جدًا:

المال الذي بين يديك ليس إنجازك فقط،

هو رزق.

نعمة.

عطاء.

فكيف يُشكر العطاء؟

بالاحتفاظ به؟

أم بمشاركته؟

قال تعالى:

وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ

وقال النبي ﷺ:

ما نقص مالٌ من صدقة

الإنفاق في ميزان السماء ليس خصمًا... بل استثمارًا.

من قبل أن يأتي يوم...

كلمة قبل هنا ليست تهديدًا،

بل رحمة.

الله لا يفاجئ عباده،

بل يُنذرهم،

يُمهلهم،

يمنحهم فرصة.

ذلك اليوم مختلف...

لا بيع فيه

لن تستطيع أن تقول:

كم المبلغ المطلوب وأدفع؟

لا فدية.

لا تسوية.

ثم:

ولا خُلّة

الخُلّة أعلى درجات الصداقة.

صديق العمر.

القريب القريب.

لكن يوم القيامة؟

الأخلاء يومئذٍ بعضهم لبعض عدوٌّ إلا المتقين (الزخرف 67)

الصداقة التي لم تكن لله... لن تنفع.

ثم تأتي الضربة الثالثة:

ولا شفاعة

أي لا شفاعة بلا إذن.

لا أحد يتدخل بغير مشيئة الله.

لماذا نُفيَت الشفاعة هنا؟

مع أن الشفاعة ثابتة في آيات أخرى، إلا أن **النفي هنا مقيد**:

لا شفاعة **بغير إذن الله**

ولا شفاعة **لمن لم يأذن الله له**

فالآية تهدم الاعتقاد الباطل أن أحدًا يمكنه النجاة يوم القيامة **اعتمادًا على غير عمله**.

قال تعالى:

مَن ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه (البقرة 255)

كأن الآية تهدم ثلاث أوهام يعيش بها الإنسان:

المال سينقذني

العلاقات ستحميني

أحد سيتكفّل بالأمر

والحقيقة؟

لن يبقى إلا عملك.

لماذا هذا الترتيب؟

لا بيع ← لا خُلّة ← لا شفاعة

من الأسباب المادية

إلى العلاقات الاجتماعية

إلى أعلى تعلّق ديني

كلها منقطعة.

الرسالة واضحة:

افصل قلبك عن التعلّق الوهمي... قبل أن يُفصل عنك قسرًا.

الزكاة ليست خيارًا تجميليًا

الآية تشمل الزكاة الواجبة والصدقة المستحبة.

ولماذا التشديد؟

لأن ترك الزكاة ليس مسألة مالية فقط،

بل خلل في الإيمان.

قال تعالى:

وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَاةَ (فصلت 7)

وصف خطير.

لأن الامتناع عن إخراج حق الله يعني:

أنك وثقت بالمال أكثر مما وثقت بالرزّاق.

مشهد من واقعنا

رجل موسر كان يقول دائمًا:

حين أستقر أكثر... سأتصدّق كثيرًا.

مرت السنوات.

ثم جاء مرض مفاجئ.

فصار ينفق أضعاف ما كان يستطيع أن يتصدق به... لكن على العلاج.

كان يقول بندم:

ليتني قدّمت.

كم من شخص يؤجّل الصلاة...

يؤجّل الصدقة...

يؤجّل التوبة...

وكأن الغد مضمون.

النبي ﷺ قال:

اغتنم خمسًا قبل خمس... حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك (رواه الحاكم و البيهقي)

الفرص لا تُعلن قبل أن تُسحب.

الإنفاق تدريب يومي على التوحيد

حين تُخرج مالًا وأنت محتاج...

أنت تقول عمليًا:

يا رب، أنا أثق بك أكثر من ثقتي بما في يدي.

الصدقة ليست مجرد مساعدة فقير،

هي علاج لقلبك أنت.

قال ﷺ:

اتقوا النار ولو بشق تمرة (رواه البخاري و الترمذي)

حتى النصف... له وزن.

الإنفاق:

يقتل الشح

يخفف التعلّق

يربّي الطمأنينة

يوسّع الرزق معنويًا وماديًا

لماذا خُتمت الآية بقوله: والكافرون هم الظالمون

لأن أعظم الظلم هو:

جحود النعمة

وضع الثقة في غير موضعها

التعلّق بالمخلوق بدل الخالق

الكفر هنا ليس مجرد إنكار لفظي،

بل سلوك قلبي.

أن ترى النعمة... ولا ترى المنعِم.

أن تأخذ... ولا تعطي.

أن تعتمد على الناس... وتنسى الله.

قال تعالى في الحديث القدسي:

يا عبادي، إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني (رواه مسلم)

الله لا يحتاج صدقتك.

أنت من تحتاجها.

الرابط العجيب مع آية الكرسي

بعد هذه الآية مباشرة تأتي:

اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ...(البقرة 255)

كأن المعنى:

إذا طُلب منك أن تنفق،

فاعرف من هو الذي تطلب رضاه.

هو:

الحي الذي لا يموت

القيوم الذي يقوم بأمر كل شيء

الذي له ما في السماوات وما في الأرض

فلماذا تخاف الفقر وأنت تتعامل مع المالك الحقيقي؟

الآية الأولى تقطع التعلّق،

وآية الكرسي تبني اليقين.

سؤال صريح... بينك وبين نفسك

لو كان هذا آخر أسبوع في حياتك،

هل ستؤجل الصدقة؟

لو علمت أن أمامك شهرًا فقط،

هل ستنتظر الظروف المناسبة؟

نحن لا نعلم...

لكن الله يعلم.

ولهذا قال:

مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ

خلاصة هذا الفصل

الآية ليست عن المال فقط.

هي عن:

أين تضع أمانك؟

وعلى ماذا تعتمد؟

ومن تظن أنه سينقذك؟

الإنفاق ليس نقصًا،

بل إعلان ثقة.

والتقديم ليس خسارة،

بل ذكاء أبدي.

افعل الخير الآن.

ولو قليلًا.

ولو سرًا.

ولو بشق تمرة.

ففي ذلك اليوم...

لن يبقى إلا ما قدّمت لله.

الآية تهدم ثلاث أوهام:

المال سينقذني → لا بيع

علاقاتي ستنفعني → لا خُلّة

أحد سيتكفّل بي → لا شفاعة إلا بإذن الله

مثال في الوقت والقدرة

إنسان صحيح الجسد، قادر:

يؤجّل الصلاة

يؤجّل الصدقة

يؤجّل الخير

ثم يأتي ظرف:

تعب

مسؤوليات

أو موت مفاجئ

فيندم...

والآية كانت واضحة من البداية.

مثال مؤثّر من الواقع المعاش

كم من أناس:

كانوا يملكون المال ولم ينفقوا

وكانت لهم علاقات ولم تنفعهم

وكانوا يظنون أن الأمور تُحلّ

ثم حين جاء وقت الحساب (مرض، خسارة، موت قريب):

لم يبقَ إلا ما قُدِّم لله.

مثال إيجابي يشرح جمال الآية

شخص يتصدّق رغم ضيق حاله:

لا ينتظر الشكر

لا يعتمد على الناس

قلبه مطمئن

هذا الإنسان:

أخفّ همًّا

أقوى يقينًا

أهدأ وقت الشدائد

لأنه تعلّم مبكّرًا معنى:

الاعتماد على الله وحده.

خلاصة واقعية جدًا

الآية لا تخوّف...

الآية **تُنقذ**.

تقول لك:

لا تنتظر الظروف المثالية

ولا الأشخاص المثاليين

ولا الوقت المثالي

افعل الخير الآن.

أمثلة من العمل والتجارة

تاجر يظن أن:

الذكاء وحده يكفي

العلاقات وحدها تحميه

فيغشّ أو يمنع الزكاة.

ثم تأتي أزمة:

خسارة

شركاء يتخلّون

سمعة تتضرّر

الحقيقة التي تكشفها الآية:

المال الذي لم يُنفق لله لا يحمي صاحبه.

أمثلة عند المرض أو الفقد

عند المرض:

لا المال يزيل الألم وحده

ولا العلاقات تمنح الطمأنينة

الذي يُخفّف فعلًا:

دعاء صادق

عمل صالح سابق

صدقة خفية قديمة

وهنا نفهم:

ولا خُلّة ولا شفاعة...

مثال في العلاقات الاجتماعية

شخص عاش للناس:

أرضى الجميع

خاف أن يرفض

قدّمهم على الحق

فلما احتاج:

لم يجدهم

وبقي وحده مع نفسه

الآية تعلّمنا:

كن مع الله... يأتيك الناس دون أن تطلبهم.

مثال إيجابي مشرق

امرأة أو رجل:

يتصدّق سرًّا

يلتزم ولو بالقليل

لا يملك كثيرًا لكن قلبه حاضر

تراه عند الشدائد:

أهدأ

أصدق توكّلًا

أقل هلعًا

ليس لأنه يملك...

بل لأنه **قدّم**.

خلاصة من قلب الواقع

الآية لا تقول:

أعطِ كل ما تملك

بل تقول:

لا تؤجّل ما تستطيع اليوم.

فالغد:

غير مضمون

والناس يتغيّرون

والفرص تُسحب فجأة

ويبقى ما قُدِّم لله فقط.

دعاء

اللهم ارزقنا قلبًا لا يتعلّق إلا بك،

ويدًا تُنفق قبل الفوات،

وعملاً صالحًا نجده حين لا ينفع مالٌ ولا خليل،

واجعلنا ممن يسمعون النداء فيبادرون، لا ممن يندمون بعد إغلاق الأبواب.

تأمّل

في كل يوم، نؤجّل شيئًا نعلم في داخلنا أنه خير.

نقول: *غدًا... حين يتّسع الوقت، حين يهدأ البال، حين تتحسّن الظروف.*

لكن الله يذكّرنا بلطف وحزم:

أن هناك يومًا لا يشبه أيامنا،

يومًا لا يُشترى فيه الخطأ بمال،

ولا تُصلح فيه الزلّة بعلاقة،

ولا تُنقذ فيه النفس بتعلّقٍ بغيره.

كل ما نملكه اليوم—مالًا كان أو وقتًا أو قدرة—هو فرصة لا ضمان لها.

وكل ما نُخرجه لله، لا يضيع... بل ينتظرنا.

الإنفاق ليس نقصًا،

هو علامة ثقة.

والتقديم ليس خسارة،

هو اختيار واعٍ ألا نؤجّل لقاء الله بأيدٍ فارغة.

فاسأل نفسك بهدوء:

ما الخير الذي أستطيع فعله اليوم؟

ولو كان صغيرًا... لكنه صادق.

ثم افعله،

واترك الباقي على الله.

الفصل الخامس و العشرون

عندما سألوه: ماذا ننفق؟ ...
فجاءت الإجابة التي تبني أمة

يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ ۖ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ

(البقرة 215)

في لحظة صادقة من لحظات البحث عن الخير، وقف الصحابة يسألون:

يا رسول الله... ماذا ننفق؟ وعلى من ننفق؟

سؤال بسيط في ظاهره... لكنه يحمل في داخله مشروع أمة.

فنزل الجواب من السماء، واضحًا، دافئًا، عمليًا:

يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ ۖ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (البقرة 215)

لاحظ...

السؤال كان: *ماذا ننفق؟*

لكن الجواب جاء: *على من تنفقون.*

كأن القرآن يريد أن يقول:

المهم ليس حجم ما تخرج من يدك...

بل أين تضعه... ولماذا... وبأي قلب.

البداية من الجذور: **الوالدان**

أول اسم في القائمة: **الوالدان.**

ليس صدفة.

ليس ترتيبًا عابرًا.

بل هو إعلان أن البر ليس كلمة عاطفية... بل التزام عملي.

أعظم الناس حقًا عليك... من كان سببًا في وجودك.

من سهرا... فكبرت.

وتعبا... فاستقمت.

وضاقا... لتتسع حياتك.

والله تعالى قرن حقهما بحقه:

وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا (الإسراء 23)

ومن أعظم صور الإحسان: النفقة عند الحاجة.

بل إن ترك الإنفاق عليهما مع القدرة لونٌ من ألوان العقوق.

فالولد الموسر تجب عليه نفقة والديه المحتاجين.

هكذا ببساطة... لأن الإسلام لا يعرف برًا نظريًا.

سُئل النبي ﷺ: من أبر؟

قال أمك ثم أباك (رواه البخاري و الترمذي)

الخير يبدأ من البيت.

من أقرب دائرة.

من الجذر الذي إن صلح... صلح ما بعده.

ثم **الأقربون**... لأن الدائرة تتسع

بعد الوالدين يأتي: **الأقربون**.

الأخ... الأخت... العم... الخال... أبناء العمومة...

رابطة الدم ليست مجرد اسم عائلة.

إنها مسؤولية.

قال ﷺ:

بدأ بنفسك فتصدق عليها، فإن فضل شيء فلأهلك، فإن فضل شيء عن أهلك فلذي قرابتك (رواه مسلم)

ترتيب هادئ... واقعي... إنساني.

الإسلام لا يطلب منك أن تقفز إلى العالم وأنت عاجز عن سد بيتك.

لا يطالبك أن ترفع شعارات الإنسانية الكبرى وأمك محتاجة.

ولا أن تنشر العطاء بعيدًا وذوو رحمك في ضيق.

وهذا ليس أنانية...

بل فطرة.

سيد قطب رحمه الله عبّر عن هذا المنهج بعبارة جميلة:

الإسلام يأخذ الإنسان كما هو... بفطرته وميوله... ثم يرتقي به خطوة خطوة، دون أن يكبّله أو يعتسف به الطريق.

كأن الشريعة تقول لك:

اصعد... لكن بهدوء.

قدماك على الأرض... وقلبك معلق بالسماء.

اليتامى... حين تغيب الأكتاف

ثم يأتي ذكر **اليتامى**.

الطفل الذي فقد السند.

الصغير الذي لا كاسب له.

الذي قد ينظر إلى الآخرين ويشعر أن شيئًا ناقصًا في حياته.

الله تعالى أوصى بهم كثيرًا...

حتى قال النبي ﷺ:

أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى. (رواه مسلم)

تخيل...

كفالة يتيم تقرّبك من رسول الله ﷺ في الجنة!

ليس لأن المال كثير...

بل لأن الرحمة عظيمة.

في عالم يمتلئ بالقسوة...

أن تكون سببًا في ابتسامة يتيم...

هذا استثمار أبدي.

والمساكين... لأن الحاجة صامتة أحيانًا

المساكين هم أهل الضرورات.

الذين أسكنتهم الحاجة.

الذين قد لا يمدّون أيديهم... لكن أعينهم تتكلم.

هؤلاء لا يحتاجون شفقة عابرة...

بل كرامة محفوظة.

والإنفاق عليهم ليس إحسانًا من علٍ...

بل هو إعادة توازن.

الإسلام يريد مجتمعًا لا يسقط فيه أحد لأن دخله قلّ.

ولا يُهان فيه إنسان لأنه فقير.

قال ﷺ:

اليد العليا خير من اليد السفلى (رواه مسلم)

اليد العليا... ليست فقط التي تعطي.

بل التي تعطي بعزة... دون إذلال.

وابن السبيل... الغريب الذي انقطعت به الطرق

ثم يأتي: **ابن السبيل**.

الغريب. المسافر الذي نفدت نفقته.

المنقطع عن بلده.

تأمل جمال التشريع...

حتى من ليس قريبك... ولا من مدينتك... ولا من قومك...

له حق.

لأن رابطة الإسلام أوسع من رابطة الدم.

ورابطة الإنسانية في إطار العقيدة أكبر من الحدود الجغرافية.

هكذا تبنى الأمة:

عصب...

ورحم...

ورحمة...

وإنسانية.

لا تعطِ كل ما تملك... ثم تجلس تسأل الناس

وهنا يضع الإسلام ضابطًا مهمًا جدًا:

الصدقة لا تعني أن تُفلس.

قال ﷺ:

خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى، وابدأ بمن تعول (رواه البخارى)

وجاء رجل للنبي ﷺ بقطعة ذهب وقال: هذه صدقة وما أملك غيرها.

فأعرض عنه النبي ﷺ... ثم قال:

يأتي أحدكم بما يملك فيقول هذه صدقة، ثم يقعد يتكفف الناس (صحيح ابن حبان)

المنهج واضح:

لا تتحول من معطٍ إلى محتاج بسبب حماسة غير محسوبة.

الإسلام يريدك قويًا... مكتفيًا... قادرًا على العطاء المستمر

أن رسول الله ﷺ قال لرجل ابدأ بنفسك فتصدق عليها ، فإن فضل شيء فلأهلك ، فإن فضل شيء عن أهلك فلذي قرابتك ، فإن فضل عن ذي قرابتك شيء فهكذا وهكذا (رواه مسلم)

ثم يأتي الختام الذي يطمئن القلب

بعد هذا التفصيل الدقيق...

تأتي الجملة الجامعة:

وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (البقرة 273)

أي خير.

أي صدقة.

أي إحسان.

أي طاعة.

الله به عليم.

يعلم نيتك...

ويعلم إخلاصك...

ويعلم حاجتهم...

ويعلم مقدار التضحية في قلبك... حتى لو كان المبلغ صغيرًا.

قد تعطي قليلًا... لكن أثره عظيم.

وقد تعطي كثيرًا... لكن نيتك هي التي ترفع العمل أو تخفضه.

كل شيء محفوظ.

لا يضيع.

مشروع أمة... يبدأ بجيب صادق وقلب واعٍ

عندما سأل الصحابة: ماذا ننفق؟

لم يكن السؤال عن رقم...

بل عن طريق.

والقرآن رسم الطريق:

1. نفسك... حتى لا تحتاج.
2. والداك... لأنهما الأصل.
3. أقرباؤك... لأن الرحم مسؤولية.
4. اليتامى... لأنهم أمانة.
5. المساكين... لأن الكرامة حق.
6. ابن السبيل... لأن الأمة بيت واحد.

ثم ختمها:

كل خير تفعله... عند الله محفوظ.

وقال ﷺ:

تعلّموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم، فإن صلة الرحم محبة في الأهل، مثراة في المال، منسأة في الأثر(أخرجه الترمذي)

تخيل...

صلة الرحم تزيد المحبة...

وتبارك في المال...

وتطيل الأثر.

ليس مجرد عطاء مالي…

بل شبكة حياة.

رسالة أخيرة…

الإنفاق في الإسلام ليس خصمًا من رصيدك…

بل تحويل إلى حساب لا يفلس.

ليس مجرد صدقة…

بل هندسة اجتماعية تبني مجتمعًا متماسكًا.

فاسأل نفسك اليوم:

هل بدأت بالدائرة الصحيحة؟

هل والداي بخير؟

هل في أقاربي محتاج؟

هل حولي يتيم ينتظر كافلًا؟

هل هناك مسكين أستطيع أن أكون سببًا في ستره؟

ولا تنتظر مبلغًا ضخمًا…

ابدأ بما تستطيع.

لأن الله قال:

وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (البقرة 273)

وإذا كان الله عليمًا…

فاطمئن

الفصل السادس و العشرون

أقرب باب للجنة... يبدأ من بيتك

دينارٌ أنفقتَه في سبيل الله، ودينار أنفقتَه في رقبة، ودينار تصدقتَ به على مسكين، ودينارٌ أنفقتَه على أهلك، أعظمُها أجرًا الذي أنفقتَه على أهلك

(رواه مسلم)

خلّيني أسألك سؤال بسيط:

لو كان عندك مبلغ وقلت لك تختار —

- تتبرع به لمشروع خيري ضخم
- أو تعطيه لأسرة محتاجة
- أو تنفقه على زوجتك وأولادك

أيهم أعظم أجرًا؟

الإجابة قد تفاجئك.

قال النبي ﷺ كما روى أبو هريرة رضي الله عنه:

دينارٌ أنفقتَه في سبيل الله، ودينار أنفقتَه في رقبة، ودينار تصدقتَ به على مسكين، ودينارٌ أنفقتَه على أهلك، أعظمُها أجرًا الذي أنفقتَه على أهلك (رواه مسلم)

نعم...

أعظمها أجرًا؟

الذي أنفقته على أهلك.

ليس لأن الفقراء لا يستحقون، ولا لأن الجهاد في سبيل الله ليس عظيمًا — بل لأن بيتك أمانة واجبة قبل أن يكون ميدانًا للتطوع.

الواجب قبل التطوع... ترتيب إلهي

النبي ﷺ وضّح الفكرة أكثر، كما في حديث ثوبان بن بجدد رضي الله عنه:

أفضل دينار يُنفقه الرجل دينارٌ ينفقه على عياله...

الفكرة هنا ليست عاطفية فقط... بل فقهية.

الإنفاق على أهلك **فرض عين**.

أما الإنفاق على غيرهم فهو غالبًا **تطوع أو فرض كفاية**.

والقاعدة الذهبية:

الفرض أحب إلى الله من النفل.

جاء في الحديث القدسي:

وما تقرّب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه. (رواه البخارى)

يعني ببساطة:

لا تبحث عن أبواب البطولة خارج البيت... وأنت مقصّر داخله.

الاحتساب... السر الذي يحوّل الروتين إلى عبادة

قد تقول:*لكن* أنا أصرف على بيتي طبيعي... هذا واجب، أين الأجر؟

هنا تأتي النية.

قال ﷺ لسعد كما روى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه:

وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أُجرت بها، حتى ما تجعل في في امرأتك (أخرجه النسائي)

حتى اللقمة التي تضعها في فم زوجتك؟

نعم... إذا احتسبتها.

تخيل هذا المشهد:

فاتورة كهرباء + احتساب نية = صدقة.

مصاريف مدرسة + نية صالحة = عبادة.

طعام العشاء + نية رضا الله = حسنات.

الدين هنا لا يصنع حياة روحية منفصلة... بل يحوّل الحياة نفسها إلى عبادة.

الخلل الخطير... عندما نحب النفل أكثر من الواجب

أحيانًا يحدث العكس.

شخص يتبرع بسخاء خارج البيت...

لكن زوجته تحتاج.

أطفاله ينقصهم الأساسيات.

أو هو مديون، ويؤخر سداد الدَّين، بينما يتصدق هنا وهناك.

النبي ﷺ حذّر بشدة:

كفى بالمرء إثمًا أن يضيّع من يقوت (رواه مسلم)

المعادلة واضحة:

الصدقة التي تُبنى على تضييع واجب... ليست قُربة، بل خلل في الفهم.

وهنا كان تنبيه العلماء، ومنهم محمد بن صالح العثيمين رحمه الله، أن بعض الناس يُزيّن له الشيطان التطوع ليترك الفرض.

فيظن نفسه كريمًا... وهو مقصّر.

الملائكة تتابع حسابك اليومي

كل صباح... هناك دعاءان ينزلان مع أول شروق.

قال ﷺ كما في حديث أبو هريرة رضي الله عنه:

ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعطِ منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعطِ ممسكًا تلفًا (رواه البخاري و الترمذي)

لاحظ كلمة **خلفًا**...

الله لا يأخذ منك... هو يعوّضك.

لكن بشرط:

أن يكون إنفاقك في موضعه الصحيح، بميزان الاعتدال.

قال تعالى في وصف عباد الرحمن:

وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا (الفرقان 67)

لا تبذير باسم الكرم.

ولا بخل باسم الحكمة.

بل توازن... راقٍ... واعٍ.

مشهد من الواقع

أب يعمل بجد.

يريد أن يتبرع لمشروع ضخم باسمه.

لكن ابنته تحتاج علاجًا خاصًا.

الأولوية؟

واضحة.

أم تفكر: هل لي أجر فيما أنفق على أولادي؟

جاء الجواب للنموذج الحيّ: أم سلمة رضي الله عنها حين سألت:

هل لي أجر في بني أبي سلمة أن أنفق عليهم؟

فقال ﷺ: نعم، لك أجر ما أنفقتِ عليهم (رواه البخارى)

حتى الأم... حتى الزوجة... حتى من لا يُنظر إليه كمصدر دخل...

كل نفقة بنيّة = عبادة.

القاعدة الذهبية

ابدأ بمن تعول.

قال ﷺ:

اليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول...(رواه البخارى)

الدين لا يريد منك أن تكون بطلاً في الخارج...

ويريدك مقصّرًا في الداخل.

أقرب طريق للجنة؟

قد لا يكون في ساحة بعيدة...

بل في غرفة أطفالك.

في طبق الطعام.

في قسط المدرسة.

في احتضان مسؤول.

خلاصة الفصل

- النفقة على الأهل واجب قبل أن تكون فضيلة.
- النية تحوّل العادة إلى عبادة.
- التطوع لا يسبق الفرض.
- التوازن هو الطريق المستقيم.
- أقرب أبواب الأجر... داخل بيتك.

فلا تحتقر الإنفاق العادي

قد يكون أعظم مما تظن.

وأحيانًا...

أعظم دينار تنفقه...

هو الذي لا يراه أحد

إلا الله.

الفصل السابع و العشرون

بناء المساجد...

مشروع يبدأ في الأرض ويستمر في السماء

من بنى مسجدًا لله بنى الله له مثله في الجنة

(رواه إبن ماجه)

في عالمٍ تتنافس فيه المدن على بناء الأبراج الشاهقة،

هناك بناءٌ مختلف تمامًا...

بناء لا يُقاس بارتفاعه،

ولا بفخامته،

ولا بزخارفه.

بل يُقاس بشيء آخر:

عدد القلوب التي تهتدي فيه.

وعدد الجباه التي تسجد لله داخله.

إنه **المسجد**.

المسجد... أول مشروع في بناء المجتمع

عندما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة المنورة،

لم يبدأ ببناء القصور،

ولا بتنظيم الأسواق،

ولا بتأسيس جيش.

بل بدأ بشيء واحد:

بناء المسجد.

فكان أول بناء في الدولة الإسلامية هو **المسجد النبوي**.

لأن المسجد لم يكن مجرد مكان للصلاة فقط،

بل كان:

مدرسة للعلم

مركزًا للتربية

مجلسًا للشورى

ومنطلقًا للإصلاح

ولهذا قال الله تعالى:

إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ (التوبة 18)

لاحظ كلمة **يعمر**

العمارة ليست جدرانًا فقط...

بل **إحياء القلوب بالإيمان**.

وعدٌ عظيم... بيت في الجنة

تخيّل أن يكون هناك مشروع واحد

يجعل الله يبني لك **بيتًا في الجنة**.

هذا ليس خيالًا...

بل وعد صادق من النبي ﷺ.

قال رسول الله ﷺ:

من بنى مسجدًا لله بنى الله له مثله في الجنة (رواه إبن ماجه)

وفي رواية أخرى:

ولو كمفحص قطاة

ومفحص القطاة هو المكان الصغير الذي تبيض فيه طيور الصحراء.

أي أن المسجد قد يكون **صغيرًا جدًا**،

لكن الأجر **عظيم جدًا**.

لماذا بناء المساجد استثمار لا ينتهي؟

لأن المسجد لا يخدم يومًا واحدًا...

بل **أجيالًا كاملة**.

تخيّل هذا المشهد:

رجل يصلي الفجر.

طفل يتعلم قراءة القرآن.

شاب يجد طريق الهداية.

حلقة علم تقام بعد المغرب.

دعاء صادق في جوف الليل.

كل هذه الأعمال...

تُكتب في ميزان من ساهم في بناء المسجد.

ولهذا قال النبي ﷺ:

إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له (رواه مسلم)

وبناء المسجد يجمع هذه الثلاثة تقريبًا:

صدقة جارية

علم يُتعلّم فيه

أجيال صالحة تخرج منه

في زمن وسائل التواصل

في الماضي كان بناء مسجد يحتاج إلى سنوات طويلة من جمع التبرعات.

اليوم...

قد يبدأ المشروع **بمنشور على وسائل التواصل الاجتماعي.**

تجد إعلانًا مثلًا:

نحتاج إلى 50 ألف دولار لبناء مسجد في قرية لا يوجد فيها مسجد

يشارك الناس المنشور...

ويتبرع مئات الأشخاص.

بعد أشهر تظهر صورة المسجد.

أطفال يصلون فيه لأول مرة.

وربما لا يعرف أحد أسماء المتبرعين...

لكن الله يعلمهم جميعًا.

ليس شرطًا أن تكون غنيًا

من أجمل ما في هذا الباب...

أن الأجر لا يشترط الغنى.

يمكنك أن تساهم بأشياء بسيطة مثل:

شراء **مصحف** للمسجد

المساهمة في **سجاد المسجد**

تركيب **مكيف أو مروحة**

وضع **برادة ماء**

المساعدة في **ترميم المسجد**

كل هذا يدخل في **عمارة بيوت الله**.

حتى تنظيف المسجد عبادة

الإسلام لم يكتفِ ببناء المسجد...

بل دعا إلى **العناية به**.

فقد كانت هناك امرأة في زمن النبي ﷺ

تقوم بتنظيف المسجد.

فلما ماتت ولم يُخبروا النبي ﷺ،

سأل عنها.

فلما علم بوفاتها قال:

دلوني على قبرها

فذهب وصلّى عليها.

رسالة عظيمة:

حتى **تنظيف المسجد** عمل عظيم عند الله.

المسجد... مصنع الرجال

من المسجد خرج العلماء.

ومن المسجد انطلقت الدعوة.

ومن المسجد تربى الصحابة.

المسجد ليس مبنى فقط...

بل **مدرسة للإيمان.**

ولهذا قال الله تعالى:

فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ (النور 36)

رسالة لمن يقرأ الآن

ربما تقرأ هذه الكلمات

وتفكر:

هل أستطيع أن أساهم في بناء مسجد؟

الجواب: نعم.

ليس بالضرورة أن تبني مسجدًا كاملًا.

ابدأ بخطوة:

شارك في مشروع مسجد.

ساهم بمبلغ بسيط.

انشر مشروعًا موثوقًا.

ساعد في إعمار مسجد قريب منك.

ربما يكون هذا العمل

هو السبب في أعظم حسناتك يوم القيامة.

خاتمة الفصل

نحن نبني بيوتًا في الدنيا...

ثم نتركها يومًا ما.

لكن حين تبني مسجدًا...

فإنك تبني بيتًا يسكنك أجره **إلى الأبد.**

قد لا يُكتب اسمك على لوحة المسجد،

لكن اسمك يُكتب في صحيفة

لا تضيع فيها الأعمال.

قال النبي ﷺ:

من بنى مسجدًا لله بنى الله له مثله في الجنة (رواه إبن ماجه)

فابنِ لله بيتًا في الأرض...

ليُبنى لك **بيتٌ خالد في السماء**

الفصل الثامن و العشرون

سقيا الماء...
صدقة تمشي على الأرض

سأل أحد الصحابة النبي ﷺ قال: يا رسول الله، إن أمي ماتت، أفأتصدق عنها؟ قال: نعم. قال: فأي الصدقة أفضل؟ قال: سقي الماء

(أخرجه الطبراني)

تخيّل لحظة بسيطة...

إنسان يمشي في طريق طويل، الشمس حارقة، والعطش يكاد ينهك جسده.

ثم تمتد يدٌ نحوه بكوب ماء بارد.

لحظة صغيرة...

لكنها قد تكون عند الله أعظم مما نتخيّل.

سقيا الماء ليست مجرد عمل خيري عابر، بل هي **عبادة تمشي على الأرض**،

وأثرها يمتد في الدنيا والآخرة.

قطرة ماء قد تغيّر حياة إنسان، وقد تكون سبب نجاة إنسان يوم القيامة.

في عالمٍ يمتلئ بالأعمال السريعة واللحظية، تبقى سقيا الماء عملاً هادئًا...

لكنه **عميق الأثر**.

في زمنٍ نفتح فيه الصنبور فتنساب النعمة بلا تفكير،

هناك من يقطع كيلومترات ليحمل دلوًا،

وهناك من ينتظر صهريجًا قد لا يأتي.

لماذا الماء تحديدًا؟

لأن الماء هو **أصل الحياة**.

الماء...

ليس مجرد عنصر فيزيائي،

بل حياةٌ تمشي على الأرض.

قال الله تعالى:

وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ (الأنبياء 30)

تأمل المعنى قليلًا...

كل كائن حي على الأرض — إنسان، حيوان، نبات — مرتبط بالماء.

حين تمنح الماء، فأنت لا تعطي شيئًا عاديًا...

أنت تلمس **سرّ الحياة نفسه**.

لهذا كان الماء عبر التاريخ أغلى من الذهب أحيانًا.

مدن قامت حول الأنهار...

وحضارات ازدهرت بسبب بئر أو نهر.

فكيف إذا كان هذا الماء **صدقة لله**؟

سقيا الماء في ميزان السنة

سأل أحد الصحابة النبي ﷺ يومًا سؤالًا بسيطًا لكنه عظيم المعنى.

قال:

يا رسول الله، إن أمي ماتت، أفأتصدق عنها؟

قال: نعم.

قال: فأي الصدقة أفضل؟

قال: سقي الماء. (أخرجه الطبراني)

توقف عند هذه الإجابة قليلًا...

في عالم الصدقات الكثيرة:

إطعام، كسوة، مال...

اختار النبي ﷺ **الماء**.

لماذا؟

لأن الماء حاجة يومية لا يستغني عنها أحد.

قصة صغيرة... ومغفرة عظيمة

يحكي النبي ﷺ قصة رجل مرّ بكلب يلهث من العطش.

العطش كان شديدًا...

حتى إن الكلب بدأ يلعق التراب من شدته.

نزل الرجل إلى بئر، ملأ خفه ماء، ثم سقاه.

فشكر الله له... وغفر له.

الصحابة تعجبوا وسألوا:

يا رسول الله، وإن لنا في البهائم أجرًا؟

فقال النبي ﷺ:

في كل كبدٍ رطبة أجر. (رواه البخاري و الترمذي)

تخيل...

كلب عطشان

كان سببًا في مغفرة إنسان.

فكيف بالإنسان؟

وكيف بمن يسقي آلاف البشر؟

رسالة واضحة:

حتى الحيوان له نصيب من رحمتك، وسقياك له قد تكون سبب نجاتك.

عندما يصنع بئرٌ واحد تاريخًا

في زمن الصحابة، كان في المدينة بئر مشهور اسمه **بئر رومة**.

كان الماء فيه عذبًا، لكن صاحبه كان يبيعه.

فقال النبي ﷺ:

من يشتري بئر رومة فيجعلها للمسلمين وله الجنة؟

فاشتراه الصحابي الجليل

عثمان بن عفان

وجعله وقفًا للمسلمين.

بئر واحدة...

لكنها تحولت إلى **نهر من الأجر** يمتد عبر الزمن.

قرون مرت...

ولا يزال الناس يذكرون هذا العمل.

وهنا درس عظيم:

أحيانًا عمل صغير في ظاهره...

لكنه عند الله **مشروع عمر كامل.**

سقيا الماء... عندما تغيّر بئر قرية كاملة

لنخرج قليلًا من صفحات التاريخ... إلى الواقع.

في كثير من القرى في إفريقيا وآسيا، كان الأطفال يقطعون عدة كيلومترات يوميًا لجلب الماء.

تخيل طفلًا عمره عشر سنوات...

يقضي ساعات يومه فقط ليحضر ماءً لأسرته.

لكن عندما تُحفر بئر في تلك القرية، يحدث شيء مدهش:

الأطفال يذهبون إلى المدرسة

الأمراض تقل

الوقت يتوفر للعمل والتعليم

وتعود الكرامة للناس

بئر ماء واحدة...

لكنها تغيّر **مصير قرية كاملة**.

لهذا سقيا الماء ليست فقط صدقة...

بل **استثمار في الحياة**.

صدقة لا تتوقف

قال النبي ﷺ:

إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث:

صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له (رواه مسلم)

وسقيا الماء من أوضح صور **الصدقة الجارية**.

لماذا؟

لأن نفعها يتكرر:

كل رشفة ماء... أجر

كل وضوء... أجر

كل إنسان يرتوي... أجر

كل زرع ينمو... أجر

حتى بعد رحيلك بسنوات...

قد يشرب شخص ماءً من بئر حفرته أنت.

ولا يزال الأجر **يكتب لك**.

أفكار بسيطة... لكن أجرها كبير

ليس من الضروري أن تحفر بئرًا كبيرة.

الأعمال الصغيرة قد تكون عظيمة عند الله:

وضع برادة ماء في مسجد

توزيع عبوات ماء في يوم حار

وضع أوعية ماء للحيوانات

المشاركة في حفر بئر في منطقة فقيرة

القاعدة الجميلة في الصدقات:

لا تحتقر العمل الصغير.

رب عمل بسيط...

يصبح عند الله **جبلًا من الحسنات**.

سقيا الماء عن الوالدين

من أجمل أبواب البر بعد الوفاة:

أن يتصدق الإنسان عن والديه.

وقد أجاز العلماء ذلك، ومنهم:

عبد العزيز بن باز

محمد بن صالح العثيمين

وأكدوا أن الصدقة عن الميت تصل إليه وينتفع بها.

فكم هو جميل أن يكون هناك بئر أو مشروع ماء مكتوب عليه:

صدقة عن والديّ

كل من يشرب...

تصل قطرة من الأجر إليهما.

عندما يجتمع شرف العمل وشرف المكان

هناك أماكن يتضاعف فيها الأجر.

ومن أعظمها

المسجد الحرام.

سقيا الماء لضيوف الله الذين جاءوا للحج أو العمرة عمل عظيم؛

لأنك تسقي إنسانًا جاء يطلب رضا الله.

في الحر والزحام، قد تكون زجاجة ماء باردة

أعظم هدية يمكن أن تقدمها.

سر البركة في سقيا الماء

سقيا الماء تعلّمنا معنى جميلًا جدًا:

أن تكون سببًا في الحياة.

حين تسقي الماء فأنت تمنح:

راحة لعطشان

رحمة لمخلوق

أملًا لقرية

وأجرًا لنفسك

والأجمل...

أن هذا الأجر قد يستمر **بعد رحيلك من الدنيا**.

أثر لا ينتهي

ربما لن ترى من شرب من عطائك،

لكن الله يراه.

ربما لن تسمع دعاءهم،

لكن الملائكة تكتبه.

قطرة ماء قد تكون سببًا في:

إنقاذ حياة.

شفاء مريض.

استمرار عبادة.

دعوة صادقة في ظهر الغيب.

رسالة إلى قلبك

اسأل نفسك:

كم مرة شعرت بالعطش اليوم؟

ثم تخيّل أن هذا الإحساس لا ينتهي بعد دقائق…

بل يستمر أيامًا.

سقيا الماء ليست رفاهية،

بل رحمة.

ابدأ ولو بزجاجة.

ولو بمساهمة بسيطة.

ولو بنيّة صادقة.

لأن في عالمٍ يموت فيه البعض عطشًا…

أعظم ما يمكن أن تقدمه…

هو الحياة.

ختام الفصل

ربما لا نملك ثروات كبيرة.

لكننا نملك شيئًا أعظم:

نية صادقة.

اجعل لك نصيبًا من سقيا الماء...

ضع برادة...

احفر بئرًا...

أو حتى أعطِ كوب ماء لإنسان عطشان.

فرب قطرة ماء

تروي ظمأ عبدٍ في الأرض...

فتروي ظمأك

يوم القيامة.

لأن الماء حياة...

ومن أحيا نفسًا

فكأنما أحيا الناس جميعًا.

ابدأ اليوم...

فالأثر أبقى من اللحظة.

الفصل التاسع و العشرون

أو مُصحفًا ورَّثه

إنَّ مِمَّا يلحقُ المؤمنَ من عملِهِ وحسناتِهِ بعدَ موتِه عِلمًا علَّمَه ونشرَه وولدًا صالحًا ترَكَه ومُصحفًا ورَّثَه أو مسجِدًا بناهُ أو بيتًا لابنِ السَّبيلِ بناهُ أو نَهرًا أجراهُ أو صدَقةً أخرجَها من مالِه في صِحَّتِه وحياتِه يَلحَقُهُ من بعدِ موتِهِ

(رواه إبن ماجه)

قال رسول الله ﷺ:

إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له (رواه مسلم)

وفي رواية أخرى جاءت الزيادة:

... أو مُصحفًا ورَّثه

مصحفًا ورَّثه... استثمار لا يعرف كلمة انتهى

في زمنٍ تُقاس فيه الإنجازات بعدد المتابعين،

وتُقاس النجاحات بعدد الإعجابات،

هناك عملٌ واحدٌ فقط لا يتأثر بانقطاع الإنترنت...

ولا يتوقف بإغلاق الحساب...

ولا ينتهي بإعلان الوفاة.

إنه: **مصحفًا ورَّثه**.

تخيّل...

أن تُغلق عينيك عن الدنيا،

لكن حساب حسناتك يبقى مفتوحًا

ليس دقائق... بل سنوات... بل أجيال.

ماذا يعني أو مُصحفًا ورَّثه؟

يعني أنك حين تترك خلفك مصحفًا،

يقرأ فيه إنسان آية...

فيعمل بها...

فتُكتب لك حسنة.

ثم يعمل بها غيره...

فتُكتب لك حسنة أخرى.

وهكذا... سلسلة نور لا تنقطع.

قال تعالى:

إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمْ (يس 12)

وآثارهم...

أي ما تركوه بعدهم.

ليس فقط ما فعلوه بأيديهم،

بل ما امتد أثره بعد رحيلهم.

لو كان الحديث يُنشر اليوم...

تخيّل منشورًا يقول:

استثمر قبل أن تموت!

لكن ليس في الأسهم...

بل في الأثر.

بعض الناس يترك حسابًا بنكيًا،

وبعضهم يترك حساب حسنات.

ببساطة...

أن تترك خلفك **مصحفًا يُقرأ**.

أن تضع نسخة من كتاب الله في مسجد.

أن تهدي مصحفًا لبيتٍ لا يملك واحدًا.

أن تترك في مكتبتك مصحفًا يتداوله أبناؤك.

أو حتى مصحف أرسلته رقميًا لشخص يتعلم القراءة.

كل حرفٍ يُقرأ فيه...

كل دمعةٍ تنزل على صفحاته...

كل قلبٍ يهتدي بآيةٍ منه...

يُكتب في ميزانك... وأنت تحت التراب.

أليس هذا هو الاستثمار الحقيقي؟

آية واحدة قد تغيّر حياة إنسان.

وأنت السبب... بعد موتك.

من السيرة... كيف كان الأثر؟

كان النبي ﷺ يحب أن يُنشر القرآن بين الناس.

وكان الصحابة يتسابقون في حفظه وتعليمه.

عثمان بن عفان رضي الله عنه لم يكتفِ بقراءة القرآن،

بل جمع الناس على مصحف واحد،

وأرسل نسخًا إلى الأمصار.

تخيّل حجم الأجر...

كل حرف يُتلى في العالم اليوم من المصحف العثماني

يمتد أثره إلى ذلك القرار.

وهذا معنى قول النبي ﷺ:

من دلّ على خير فله مثل أجر فاعله (رواه مسلم)

في واقعنا الحديث

اليوم يمكنك أن:

تطبع مصاحف وتضعها في مسجد صغير في قرية بعيدة.

تهدي مصحفًا لطفل بدأ يحفظ.

تساهم في تطبيق قرآن يُستخدمه آلاف الناس.

تدعم مركز تحفيظ.

كم شخصًا يفتح هاتفه يوميًا ليقرأ وردَه؟

وكم منهم قد يكون بسببك؟

قال تعالى:

مَّن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا (الأنعام 160)

حرف واحد بعشر حسنات.

فكيف بآية؟

فكيف بسورة؟

فكيف بمصحف يُقرأ لسنوات؟

القصة التي تهز القلب

رجل بسيط اشترى عشرين مصحفًا قبل وفاته بأيام،

ووزعها على طلاب تحفيظ في حيه.

بعد سنوات،

أحد هؤلاء الطلاب أصبح إمام مسجد،

يحفظ القرآن كاملًا.

كم مرة ختم؟

كم شخصًا صلى خلفه؟

كم طفلًا حفظ على يديه؟

تخيل الأجر...

يمشي إليه في قبره وهو لا يشعر.

الرسالة الأخيرة

لسنا نملك ضمانًا لأعمارنا،

لكننا نملك ضمانًا لأثرنا.

لا تجعل حياتك تنتهي عند تاريخ الوفاة.

اجعل لك امتدادًا.

مصحف...

قد يكون أصغر استثمار في الدنيا،

وأعظم استثمار في الآخرة.

اليوم قبل غد...

اسأل نفسك:

أي أثر سيبقى لي بعد أن أرحل؟

لماذا هو صدقة جارية؟

لأن القرآن لا يموت.

والآية لا تنتهي صلاحيتها.

والهداية لا تتقادم.

قال الله تعالى:

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (الحجر 9)

فحين تترك مصحفًا...

أنت تشارك في سلسلة الحفظ، وسلسلة النور، وسلسلة الهداية.

وقال ﷺ في الحديث الصحيح:

إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له (رواه مسلم)

ومصحفٌ يُقرأ... يجمع بين الثلاثة:

هو صدقة جارية

وهو علم يُنتفع به

وقد يكون سببًا في صلاح ولدك

من السيرة... كيف كانوا يعظمون القرآن؟

كان الصحابة يعظمون المصحف تعظيمًا يفوق تصورنا.

يكفي أن نتذكر أن جمع القرآن في مصحفٍ واحد كان مشروعًا عظيمًا في عهد أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ثم نُسِخ في المصاحف في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه، حفاظًا على كتاب الله للأجيال القادمة.

تخيل لو لم يفعلوا ذلك...

كل مصحفٍ نقرأ فيه اليوم

هو امتداد لتلك التضحية.

فكيف إذا كنت أنت سببًا في أن يُفتح مصحفٌ بعد مئة سنة... ويُقرأ فيه؟

في الواقع الحديث... الفرصة أكبر من أي وقت

اليوم يمكنك أن:

تطبع مئات المصاحف وتوقفها في بلدٍ فقير

تضع مصاحف في مستشفى

تساهم في توزيعها في السجون

تدعم مشاريع تعليم القرآن

بل حتى المصحف الإلكتروني...

إذا كان سببًا في نشر القرآن وتعليمه... يدخل في معنى نشر الخير.

تخيل أن شابًا يفتح المصحف الذي وضعته في مسجد...

فيقرأ آية:

لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ (الزمر 53)

فيتوب.

ويتغير مسار حياته.

وأنت لا تعلم.

لكنك ستعلم... يوم تُفتح الصحائف.

رسالة شخصية لك

فكّر قليلًا...

كم أنفقت على أشياء انتهت صلاحيتها؟

كم اشتريت شيئًا لم يعش معك سنة؟

ومصحفٌ بثمن بسيط...

قد يعيش مئة عام.

قد يُقرأ فيه آلاف المرات.

قد يُختم عشرات الختمات.

قد يُحفظ منه طفل.

قد تهتدي به عائلة كاملة.

وكل ذلك... يصلك.

فكرة عملية الآن

أوقف مصحفًا باسم والديك.

ضع مصحفًا في مسجد الحي باسم أولادك.

اجعل في كل بيتٍ تدخله هديةً: مصحف.

اجعل لك رصيدًا يعمل بعد موتك.

حسابًا لا يُغلق.

وأجرًا لا ينقطع.

لأن أجمل شعور...

أن ينتهي عمرك...

ولا ينتهي عملك.

مصحفًا ورَّثه...

قد يكون أعظم منشورٍ تتركه في حياتك.

الفصل الثلاثون

عندما يصبح الخبز رسالة حب...

سرُّ إطعام الطعام

وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا

(الإنسان 8)

تخيّل هذا المشهد للحظة...

بيتٌ بسيط في المدينة قبل أكثر من 1400 عام.

عائلة صائمة طوال اليوم.

وعند الغروب... ليس على المائدة إلا **رغيف أو اثنان**.

الجوع حاضر...

والطعام قليل...

لكن الباب يُطرق.

سائلٌ جائع.

ماذا سيحدث؟

هنا تبدأ القصة التي خلدها القرآن.

قال الله تعالى:

وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (الإنسان 8)

هذه ليست مجرد آية...

إنها **فلسفة حياة كاملة**.

قصة رغيف غيّر التاريخ

تذكر كتب التفسير أن هذه الآية نزلت في مواقف عظيمة من الكرم، منها **قصة الصحابي الجليل** أبو الدحداح الأنصاري، وقيل كذلك في علي بن أبي طالب وأهل بيته.

القصة بسيطة... لكنها عظيمة.

صام أحدهم يوماً كاملاً.

وعند الإفطار قال لزوجته:

أعدّي الطعام... فقد جعت اليوم.

أحضرت الزوجة رغيفاً وقليلاً من المرق.

وقبل أن يبدأوا الطعام...

طرق الباب.

سائل يقول:

أطعموني... فإني لم آكل اليوم شيئاً.

فقال الرجل لزوجته:

قدّمي الطعام له.

أكل السائل...

وبقي لهم القليل.

ثم...

طرق الباب مرة أخرى.

هذه المرة **يتيمة** جائعة.

فقال:

أطعميها... فهي أحق.

ثم طرق الباب **للمرة الثالثة**.

أسيرٌ غريب في بلاد المسلمين...

أنهكه الجوع.

قال:

أطعموني... فإني أسير وجائع.

فقال الرجل لزوجته:

أطعميه... فهو أحق.

وفي النهاية؟

بقي للعائلة **رغيف واحد فقط**.

لكن السماء سجلت هذا الموقف.

فنزل القرآن يمدحهم.

السر في كلمة صغيرة

الآية تقول:

على حبه

هذه الكلمة الصغيرة تحمل معنى عظيماً.

فسرها العلماء بثلاثة معانٍ جميلة:

طعمونه وهم يحبون الطعام

أي أنهم **يحتاجونه فعلاً**.

ليس فائضاً...

بل مما تشتهيه نفوسهم.

ولهذا قال الله:

لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون (آل عمران 92)

يطعمونه حباً لله

أي أن الدافع الحقيقي هو:

ليس التصوير...

ولا المدح...

ولا الشكر...

بل:

لوجه الله فقط.

كما قالوا:

إنما نطعمكم لوجه الله

لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً (الإنسان 9)

يطعمون بمحبة

أي أن العطاء ليس مجاملة...

بل **يخرج من القلب**.

الإسلام في جملة واحدة

في يومٍ ما سأل رجل النبي ﷺ سؤالاً بسيطاً:

أي الإسلام خير؟

فكانت الإجابة مدهشة في بساطتها.

قال ﷺ:

تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف. (رواه البخارى)

النبي ﷺ اختصر **الإسلام الاجتماعي كله** في أمرين:

إطعام الطعام

نشر السلام

أي:

إحسان بالفعل... وإحسان بالكلمة.

لماذا ركّز الإسلام على الطعام؟

لأن الطعام ليس مجرد أكل.

إنه:

كرامة إنسان

حياة

رحمة

مشاركة

ولهذا جعل الإسلام **الإطعام جزءاً من العبادات نفسها**.

مثلاً:

كفارة اليمين ← إطعام مساكين

كفارة الظهار ← إطعام ستين مسكيناً

فدية الصيام ← إطعام مسكين

الهدي للحجاج ← إطعام الفقراء

كأن الرسالة تقول:

إذا أخطأت... أصلح الخطأ بإطعام إنسان.

موقف عجيب في التاريخ

بعد غزوة بدر، وقع بعض المشركين أسرى في يد المسلمين.

لكن ما حدث كان صادماً لهم.

كان الصحابة يعطون الأسرى **الخبز**...

ويأكلون هم **التمر**.

مع أن الخبز وقتها كان **أغلى وأندر**.

بعض الأسرى قالوا لاحقاً:

كنا نعجب من كرمهم... حتى إن ذلك كان سبباً في إسلام بعضنا.

هكذا انتشر الإسلام أحياناً...

ليس بالسيوف...

بل **برغيف خبز**.

لو عاش الصحابة في عصر السوشيال ميديا

تخيل لو حدثت هذه القصة اليوم...

ربما سنرى منشوراً مثل:

وزعنا اليوم 200 وجبة للفقراء

لا تنسوا اللايك والمشاركة.

لكن الصحابة كانوا يقولون:

لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً.

لا لايك...

لا تصوير...

لا إعلان.

فقط:

الله يرى.

تخيل هذا المشهد: شارع مزدحم، أصوات السيارات تتردد في كل مكان، روائح الطعام تعبق في الجو، وأنت ترى طفلاً صغيرًا يجلس على الرصيف، عيونه مليئة بالحزن والجوع. في يدك قطعة خبز، أو ساندويش، أو حتى وجبة جاهزة، وتمتد يدك لتقدمه له.

هذه اللحظة، البسيطة على ما تبدو، تحمل قوة لا يُقدّرها إلا من جرب العطاء.

هذه هي روح الحديث النبوي ﷺ، عندما سأل رجل:

أي الإسلام خير؟

فيرد النبي ﷺ بكل بساطة وعمق:

تُطْعِمُ الطَّعَامَ. (رواه البخارى)

أمثلة جميلة في عصرنا

اليوم نرى نماذج رائعة حول العالم.

شابة في البحرين بدأت مشروعًا صغيرًا لتوزيع وجبات يومية للفقراء والمحتاجين في رمضان، وصارت آلاف المتابعين يشاركونها في المشروع.

مطاعم في لندن وأمريكا بدأت برامج لتقديم وجبات مجانية للمحتاجين كل أسبوع، ومع كل مشاركة صغيرة من المتطوعين، يزداد التأثير الإيجابي في المجتمع.

مطبخ الخير في المساجد

في رمضان تتحول بعض المساجد إلى مطابخ ضخمة:

آلاف الوجبات يومياً.

طلاب

عمال

مسافرون

فقراء

يجلسون على مائدة واحدة.

ثلاجات الصدقة

فكرة انتشرت في عدة دول:

ثلاجة أمام البيت أو المسجد.

أي شخص يستطيع أن:

يضع طعاماً

أو يأخذ طعاماً

بكرامة.

مبادرات الشباب

شباب يصورون فيديوهات وهم يوزعون الطعام على المشردين.

ورغم اختلاف النيات...

إلا أن النتيجة الجميلة هي:

إطعام إنسان جائع.

الطعام الذي ينقذنا يوم القيامة

القرآن ذكر سبب دخول بعض الناس النار.

وكان من بينها:

ولم نك نطعم المسكين. (المدثر 44)

تأمل هذا جيداً.

ليس لأنهم سرقوا...

ولا لأنهم قتلوا...

بل لأنهم **لم يهتموا بالجائعين.**

وفي المقابل...

قال الله عن الأبرار:

وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (الإنسان 8)

أين نبدأ؟

الأمر أبسط مما نظن.

ليس شرطاً:

مطعماً خيرياً

أو جمعية كبيرة

ابدأ من هنا:

- ✓ أطعم أهلك
- ✓ شارك جارك
- ✓ أكرم ضيفك
- ✓ تصدق بوجبة
- ✓ ادفع وجبة لعامل بسيط

النبي ﷺ قال:

دينار تنفقه على أهلك أعظم أجراً. (رواه مسلم)

رسالة هذا الفصل

العالم اليوم مليء بالصراعات...

لكن أحياناً **رغيف خبز** يفعل ما لا تفعله السياسة.

رغيف:

يصنع صداقة

يزيل كراهية

يفتح قلباً

وربما يغير حياة إنسان

لذلك...

في الإسلام:

ليس السؤال كم نملك...

بل:

كم إنساناً أطعمنا؟

تحدي اليوم:

قدّم شيئًا بسيطًا اليوم: وجبة، طعام، أو رسالة دعم. شاهد كيف يمكن للخير أن ينتشر بسهولة أكبر مما تتخيل، وكيف أن لقمة واحدة قد تزرع أملًا لا يُنسى في قلب شخص محتاج.

الفصل الحادي والثلاثون

كل لقمة تأكلها طير من شجرتك = صدقة جارية لك!

ما من مسلمٍ يغرسُ غرسًا أو يزرعُ زرعًا فيأكلُ منه طيرٌ ولا إنسانٌ إلا كان له به صدقة

(رواه البخارى)

تخيل... كل لقمة تأكلها طير من شجرتك = صدقة جارية لك!

يقول النبي ﷺ

ما من مسلمٍ يغرسُ غرسًا أو يزرعُ زرعًا فيأكلُ منه طيرٌ ولا إنسانٌ إلا كان له به صدقة (رواه البخارى)

تخيل المشهد...

أنت تغرس شجرة.

يمرّ طائر فيأكل منها

طفل يقطف ثمرة

بهيمة ترعى حولها

وأنت في بيتك... تُكتب لك صدقة!

الإسلام لا يريدك عابدًا فقط... بل مُعمِّرًا للأرض

الله تعالى قال:

هُوَ أَنْشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا (هود 61)

أي طلب منكم عمارتها.

والنبي ﷺ يربط بين العبادة والعمل والإنتاج.

ليس الزهد أن تترك الدنيا،

بل أن تمسكها بيدك... ولا تدخل قلبك.

ولهذا كان كثير من الصحابة رضي الله عنهم يزرعون ويتاجرون ويعملون بأيديهم، ولم يكن ذلك قدحًا في زهدهم.

لماذا خُصَّ المسلم بالذكر؟

لأن المسلم يغرس وهو يستحضر النية:

اللهم اجعل ثمرة هذا الغرس عونًا لعبادك على طاعتك

أما غير المسلم، فعمله قد يُجازى عليه في الدنيا، لكن الثواب الأخروي مخصوص بالإيمان.

قال تعالى:

مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ (الشورى 20)

النية هي الفارق بين عادةٍ وعبادة.

أيُّ الكسب أفضل؟

اختلف العلماء:

قال بعضهم: الزراعة أفضل.

وقال آخرون: الصناعة والكسب باليد أفضل.

وقال غيرهم: التجارة.

وقد سُئل النبي ﷺ: *أي الكسب أطيب؟*

قال:

عمل الرجل بيده، وكل بيعٍ مبرور(أخرجه أحمد و الطبراني)

الفكرة ليست في المسمّى...

بل في **مدى نفعه للناس.**

- إذا احتاج الناس للطعام ← الزراعة أفضل.
- إذا تعطلت الأسواق ← التجارة أفضل.
- إذا احتاجوا للصناعات ← الصناعة أفضل.

الإسلام دين واقعي... يراعي حاجة المجتمع.

صدقة... حتى لو لم تنوِها!

الأجمل؟

حتى لو زرعت لأجل التجارة فقط، ثم باع الناس ثمرها وانتفعوا...

فلك أجر توسعتك على عباد الله.

وفي بعض الروايات:

إلى يوم القيامة

أي ما دام هناك نفع متولد من زرعك أو من ذريته... فالأجر مستمر.

شجرة تثمر...

ثم تُؤخذ بذرتها فتُزرع...

ثم تُثمر مرة أخرى...

وسلسلة الأجر تمشي... وأنت قد تكون تحت التراب!

أليست هذه صدقة جارية بطريقة عملية جدًا؟

من التاريخ... ومن واقعنا

في العصور الإسلامية، كانت الأوقاف الزراعية تُوقف على الفقراء وطلاب العلم والمسافرين.

اليوم، مشاريع التشجير في كثير من البلاد الإسلامية تحيي هذه السنة، وتجمع بين حماية البيئة والأجر.

تخيل لو أن كل مسلم غرس شجرة واحدة فقط...

كيف سيكون أثر ذلك على البيئة؟ على الغذاء؟ على المناخ؟ على الفقراء؟

الإسلام سبق العالم في مفهوم **الاستدامة** قبل أن تصبح ترند عالمي

رسالة

لا تحتقر غرسة صغيرة.

لا تقل: ما قيمتها؟

ربما شجرة واحدة تكون سببًا في:

إطعام جائع

إحياء أرض

تظليل عابر سبيل

أو إنقاذ طائر من الهلاك

وكل ذلك... يُكتب في ميزانك.

قال تعالى:

فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (الزلزلة 7)

ازرع...

حتى لو لم ترَ الثمرة.

يكفي أن الله يراها

حملات التشجير التطوعية

في كثير من الدول توجد مبادرات لزراعة الأشجار في الشوارع والحدائق.

مثلاً:

مبادرة السعودية الخضراء التي تهدف إلى زراعة مليارات الأشجار.

مبادرات بيئية في الإمارات العربية المتحدة للتشجير وتقليل التصحر.

الشخص الذي يشارك بزراعة شجرة:

طائر يأكل منها.

إنسان يستظل بها.

هواء يُنقّى بسببها.

وهو في بيته... يُكتب له الأجر.

مزارع يزرع للتجارة فقط

مزارع في الريف يزرع قمحًا أو تمرًا أو خضارًا بهدف البيع.

يشتري الناس منه الطعام.

تأكل منه العائلات.

تنتفع به مطاعم.

قد يصل إلى بيوت فقراء عبر جمعيات خيرية.

هو لم ينوِ صدقة صريحة...

لكن نفعه للناس يجري في ميزانه.

من يزرع في فناء منزله

شخص يزرع شجرة ليمون أمام بيته:

الجيران يقطفون منها.

الأطفال يأكلون منها.

الطيور تعيش فيها.

هذا التطبيق الحرفي للحديث في عصرنا.

مشاريع ازرع شجرة عني

اليوم توجد جمعيات تسمح لك بالتبرع لزراعة شجرة باسمك في دول فقيرة:

الشجرة تثمر.

أهل القرية يأكلون منها.

قد تُباع ثمارها لتمويل مدرسة أو بئر.

سلسلة أجر مستمرة... حتى بعد الوفاة.

الزراعة من أجل المناخ

اليوم العالم كله يتحدث عن:

الاحتباس الحراري

تقليل الكربون

الاستدامة

والشجرة تمتص ثاني أكسيد الكربون وتُحسّن المناخ.

فأنت حين تغرس شجرة:

تحفظ البيئة

تقلل التلوث

تنفع أجيالًا قادمة

وهذا من عمارة الأرض التي ذكرها الله تعالى.

مزارع يترك جزءًا للحياة البرية

بعض المزارعين اليوم يتركون أطراف المزرعة دون حصاد:

لتأكل منها الطيور.

لترعى فيها الحيوانات.

هذا تطبيق مباشر لمعنى:

فيأكل منه طيرٌ ولا إنسانٌ إلا كان له به صدقة.

مثال أوسع (بالمعنى)

حتى المشاريع الحديثة مثل:

إنشاء حدائق عامة

إنشاء مزارع عضوية

زراعة أسطح المباني

كلها تدخل في عموم الحديث إذا وُجد النفع.

ازرعها... حتى لو كان العالم على وشك النهاية

تخيل هذا المشهد للحظة.

العالم كله في حالة فوضى...

الأخبار تتحدث عن النهاية...

كل شيء يوحي بأن **الساعة قد قامت**.

وفي يدك... **نبتة صغيرة**.

ماذا ستفعل؟

ربما سيقول معظم الناس:

لم يعد هناك وقت!

لا فائدة الآن!

العالم ينتهي!

لكن تأتي كلمات النبي ﷺ لتقلب هذا المنطق كله رأساً على عقب:

إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها (رواه البخارى)

نعم...

حتى لو كانت النهاية على بعد لحظات... **ازرعها**.

هذه الجملة القصيرة ليست مجرد توجيه زراعي...

إنها **فلسفة حياة كاملة**.

عقلية مختلفة عن عقلية العالم

الحديث النبوي يقف بوضوح مع الفكرة الثانية.

الفكرة ليست في **النتيجة**.

الفكرة في **الفعل نفسه**.

قصة رجل زرع شجرة لن يجلس تحت ظلها

يُحكى أن رجلاً مسناً كان يغرس شجرة زيتون.

مرّ به شاب وسأله مستغرباً:

لماذا تغرسها؟

هذه الشجرة تحتاج عشرات السنين لتثمر!

ابتسم الرجل وقال:

أكلنا من أشجار لم نزرعها...

فلنزرع ليأكل من بعدنا.

هذه الفكرة هي نفسها التي يلخصها الحديث النبوي.

أن تعمل الخير...

حتى لو لم ترَ نتيجته بنفسك.

عقلية الفُسيلة في العصر الرقمي

لو نظرنا حولنا اليوم سنجد أمثلة كثيرة تشبه **غرس الفسيلة**.

مثال من السوشيال ميديا

شاب يبدأ قناة تعليمية صغيرة على YouTube يشرح فيها الرياضيات لطلاب المدارس.

في البداية:

10 مشاهدات فقط.

ربما يشعر بالإحباط...

لكن بعد سنوات يصبح محتواه مرجعاً لآلاف الطلاب.

كل فيديو كان **فسيلة**.

حتى في أصعب الظروف

الحديث يحمل رسالة مذهلة:

الخير **لا يتوقف بسبب الظروف**.

حتى لو كانت الظروف سيئة...

حتى لو كان المستقبل غير واضح...

حتى لو ظننت أن عملك لن يغير شيئاً...

افعل الخير على أي حال.

التاريخ مليء بأصحاب الفسائل

في التاريخ الإسلامي والعالمي أمثلة كثيرة لأشخاص زرعوا بذوراً لم يروا نتائجها.

العلماء الذين ألفوا الكتب قبل مئات السنين

لم يكونوا يعلمون أن ملايين الناس سيقرؤونها.

المعلم الذي يشرح بإخلاص في صف صغير

قد يصنع طبيباً أو عالماً يغير حياة آلاف البشر.

كل عمل خير...

هو **فسيلة**.

لماذا الشجرة تحديداً؟

اختيار **الفسيلة** في الحديث ليس صدفة.

الشجرة رمز لعدة أشياء:

الاستمرار

العطاء

الحياة

الشجرة تعطي:

ظلاً

غذاءً

جمالاً

حياةً للكائنات

ولهذا جاء في أحاديث أخرى أن كل من يأكل من زرع الإنسان يكون له **صدقة**.

حتى الطيور.

حتى الحيوانات.

فلسفة العمل حتى آخر لحظة

الرسالة الأعمق في الحديث هي:

لا تنتظر الظروف المثالية لتفعل الخير.

ابدأ بما في يدك.

حتى لو كان شيئاً صغيراً جداً.

حتى لو كان مجرد **فسيلة**.

سؤال لنفسك اليوم

لو كانت في يدك الآن **فسيلة معنوية**:

فكرة مشروع

مبادرة خيرية

قناة تعليمية

كتاب تريد كتابته

شجرة تريد زرعها

فهل ستزرعها...

أم ستنتظر الوقت المناسب؟

الحديث يهمس لنا عبر القرون:

ازرعها الآن.

لأن العالم دائماً يحتاج

إلى شخص يؤمن أن

الخير يستحق أن يُزرع... مهما كانت الظروف

الخلاصة

الحديث ليس مرتبطًا بالعصور القديمة فقط.

بل يمكن أن نقول:

كل مشروع زراعي نافع اليوم = باب صدقة جارية.

كل شجرة مثمرة = عبادة ممتدة زمنياً.

كل نفع غذائي أو بيئي = داخل في عمارة الأرض.

الفصل الثاني و الثلاثون

كفالة الأيتام...
حين يصبح القلب بيتًا

أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وأشار بالسبابة والوسطى، وفرّج بينهما قليلًا

(أخرجه الترمذي)

بين إصبعين... طريقك إلى الجنة

تخيّل للحظة أن النبي ﷺ يشير بيده ويقول لك:

المسافة بينك وبيني في الجنة... قد تكون مثل هذه المسافة.

ثم يرفع إصبعيه: **السبابة والوسطى.**

هذا ليس مشهدًا تخيليًا... بل حديث نبوي عظيم رواه الصحابي سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه، حيث قال النبي ﷺ:

أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى.(أخرجه الترمذي)

توقف قليلًا عند هذه الصورة.

ليس تشبيهًا عاديًا... بل رسالة عميقة جدًا:

من يرعى يتيمًا قد يكون قريبًا من النبي ﷺ في الجنة.

تخيّل المشهد...

المسافة بين إصبعين فقط.

فما قصة اليتيم؟ ولماذا أعطاه الإسلام هذه المكانة الكبيرة؟

من هو اليتيم أصلًا؟

في الإسلام، **اليتيم هو الطفل الذي فقد أباه قبل أن يبلغ.**

قد يتساءل البعض: لماذا الأب تحديدًا؟

لأن الأب غالبًا هو **السند والحماية والمسؤول عن النفقة.**

الطفل يرى في والده القوة والأمان بعد الله.

تخيّل طفلًا صغيرًا كان يرى والده بطله الأول...

ثم فجأة يختفي هذا البطل من حياته.

النتيجة غالبًا:

شعور بالانكسار

خوف من المستقبل

ضعف أمام قسوة الحياة

ولهذا كان اليتيم في نظر الإسلام **قضية مجتمع كامل**، وليس مجرد حالة إنسانية فردية.

لماذا كفالة اليتيم؟

اليتيم في الإسلام ليس حالة اجتماعية، بل قضية إيمانية.

الله تعالى لم يذكر اليتيم في القرآن عرضًا، بل كرر الوصية به في مواضع كثيرة، وكأنها تذكير دائم لضمير الأمة.

تحذير شديد... لأن اليتيم ضعيف

حين يكون الإنسان ضعيفًا، قد يطمع فيه أصحاب النفوس السيئة.

ولهذا جاء تحذير شديد في القرآن من ظلم الأيتام.

قال الله تعالى:

إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا (النساء 10)

قال تعالى:

فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ(الضحى 9)

آية قصيرة... لكنها عميقة جدًا.

لا تقهره بكلمة.

لا تقهره بنظرة.

لا تقهره بإهمال.

وفي موضع آخر:

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (الماعون 1)

تأمل... ليس الحديث عن ترك الصدقة فقط، بل عن قسوة القلب تجاه اليتيم.

وكأن العناية به اختبار حقيقي لرحمة الإنسان.

وفي موضع آخر يقول الله عز وجل:

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ(البقرة 220)

كأن المعيار واضح: كل ما فيه إصلاح لحياتهم... هو خير.

رسالة قوية جدًا:

مال اليتيم ليس رقمًا في حساب... بل أمانة عظيمة.

ولهذا وضع الإسلام قواعد واضحة:

حماية أموال اليتيم

تربيته تربية كريمة

معاملته بالرحمة والعدل

لأن المجتمع الذي يضيع فيه اليتيم...

هو مجتمع فقد إنسانيته.

قال تعالى:

كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ

الآية لم تقل: لا تطعمون... بل قالت: **لا تكرمون.**

الإكرام أوسع من الطعام.

هو احترام، واحتواء، وتقدير.

اليتيم في ميزان القلب

قد لا نكون جميعًا قادرين على احتضان يتيم في بيوتنا،

لكننا جميعًا قادرون على احتضانه في قلوبنا.

لاحظ... المسألة ليست وجود اليتيم فقط، بل **الإحسان إليه**.

في زمن الفردية... كن استثناءً

العالم اليوم يميل إلى الفردية:

اهتم بنفسك أولًا

حقق أحلامك

استثمر في مستقبلك

لكن الإسلام يعلّمنا أن أعظم استثمار هو في إنسان.

أن تزرع في قلب طفل طمأنينة...

فتنمو في ميزان حسناتك شجرة لا تذبل.

من هو كافل اليتيم؟

كافل اليتيم ليس فقط الشخص الذي يعطي المال.

الكفالة قد تكون بعدة صور:

الإنفاق عليه

تربيته ورعايته

الإشراف على شؤونه

الاهتمام بتعليمه ومستقبله

حتى لو كان اليتيم يملك مالًا، لكن هناك شخص يرعاه ويهتم بتربيته...

فهذا أيضًا **كافل يتيم**.

والأجمل في الأمر أن النبي ﷺ قال:

كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين في الجنة

يعني الكفالة قد تكون:

لأيتامك أنت مثل أبناءك بعد وفاتك أو أبناء أخيك

أو لأيتام ليسوا من عائلتك

والأجر واحد.

مثال من الحياة الواقعية

تخيّل هذه القصة الواقعية التي تتكرر في آلاف البيوت:

رجل توفي وترك ثلاثة أطفال.

الأم قررت ألا تستسلم للحزن.

عملت... وتعبت... وربت أبناءها.

هذه الأم في نظر الإسلام ليست مجرد أم...

بل **كافلة أيتام**.

والبشارة؟

قرب من النبي ﷺ في الجنة.

في أحد الأحياء البسيطة، كان هناك طفل اسمه أحمد.

كان أحمد يحب السير بجانب والده في الطريق.

يمسك بيده الصغيرة... ويشعر أنه أقوى طفل في العالم.

لكن في أحد الأيام تغيّر كل شيء.

مرض الأب... ثم توفي.

في جنازة أبيه كان أحمد يمشي خلف الناس بصمت.

لم يكن يفهم كل ما يحدث، لكنه شعر بشيء كبير ينكسر في داخله.

بعد أيام بدأت الحياة تبدو مختلفة:

لم يعد هناك من يشتري له حقيبته المدرسية.

لم يعد هناك من يرفعه على كتفيه في الطريق.

ولم يعد هناك من يقول له: أنا معك.

هذا هو معنى **اليتيم** في الإسلام.

اليتيم هو الطفل الذي فقد أباه قبل أن يبلغ.

لأن الأب غالبًا هو السند...

وهو الحماية...

وهو اليد التي تمسك بالطفل في طريق الحياة.

مثال من التاريخ الإسلامي

المفارقة الجميلة أن أعظم قائد في التاريخ الإسلامي كان يتيمًا.

إنه النبي ﷺ نفسه، محمد بن عبد الله.

توفي والده قبل أن يولد

ثم توفيت أمه وهو صغير

فعاش يتيم الأب والأم

ومع ذلك خرج من هذا اليتم **أعظم إنسان عرفته البشرية**.

بل إن كثيرًا من العظماء كانوا أيتامًا، مثل:

الإمام الشافعي الذي نشأ يتيمًا وتربى في كنف أمه.

أحمد بن حنبل الذي فقد والده صغيرًا، ومع ذلك أصبح إمامًا من أئمة المسلمين.

وهذا يعلّمنا درسًا مهمًا:

اليتيم ليس طفلًا ناقص الفرص...

بل قد يكون مشروع قائد عظيم.

لكن بشرط واحد:

أن يجد من يرعاه.

الكفالة ليست مالًا فقط

كفالة اليتيم لها ثلاثة أبعاد أساسية:

البعد المادي

مثل:

الطعام

الملابس

العلاج

السكن

وهذه هي الصورة الأكثر شيوعًا للكفالة.

اليوم يمكن لأي شخص أن يكفل يتيمًا بسهولة عبر الجمعيات الخيرية.

قد تكون الكفالة **مبلغًا بسيطًا شهريًا**...

لكن أثره كبير جدًا في حياة طفل.

البعد النفسي

الطفل اليتيم لا يحتاج المال فقط.

هو يحتاج:

كلمة طيبة

حضنًا دافئًا

شعورًا بالانتماء

تخيّل الفرق بين طفل يشعر أنه **وحيد في العالم**...

وطفل يشعر أن هناك من يهتم به.

الفرق قد يغيّر حياته بالكامل.

البعد التعليمي والتربوي

التعليم هو طريق المستقبل.

حين نعلم اليتيم ونربيه جيدًا، فنحن لا نساعد طفلًا واحدًا فقط...

بل نبني **إنسانًا صالحًا للمجتمع كله**.

كم من يتيم أصبح:

طبيبًا

عالمًا

قائدًا

لأن شخصًا ما آمن به في بداية الطريق.

أجمل ما في الحديث

قد يتخيل البعض أن أعلى الدرجات في الجنة تحتاج أعمالًا خارقة:

قيام الليل طوال العمر

صيام الدهر

صدقات ضخمة

لكن المفاجأة أن النبي ﷺ دلّنا على طريق بسيط جدًا.

رعاية يتيم.

عمل إنساني بسيط...

لكن أثره عند الله عظيم.

لماذا هذا العمل عظيم إلى هذه الدرجة؟

لأنه يجمع بين عدة قيم:

الرحمة

المسؤولية

التكافل

حماية الضعفاء

ولهذا الإسلام يريد المجتمع أن يكون **أسرة كبيرة**.

إذا فقد طفل والده...فالمجتمع كله يصبح **أبًا له**.

سؤال مهم

هل يجب أن يعيش اليتيم في بيتك حتى تكفله؟

الجواب: **لا.**

اليوم يمكن كفالة اليتيم بطرق كثيرة، مثل:

الكفالة الشهرية

دعم تعليمه

المساهمة في رعايته الصحية

دعم المؤسسات التي ترعاه

كل هذه صور من **كفالة اليتيم**.

تخيل هذا المشهد يوم القيامة

الناس ينتظرون الحساب...

وفجأة يُقال:

هذا الشخص قريب من النبي ﷺ في الجنة.

لماذا؟

ليس لأنه كان عالمًا كبيرًا...

ولا لأنه كان غنيًا جدًا...

بل لأنه **مسح دمعة يتيم**.

كفالة اليتيم في عصر التواصل الاجتماعي

في زمن المتابعين والإعجابات، يمكن أن نجعل الخير ينتشر أسرع من أي محتوى ترفيهي.

مشاركة حملات الكفالة.

تحويل المناسبات الشخصية (عيد ميلاد، تخرج) إلى فرصة لكفالة يتيم.

تخصيص جزء من الدخل الشهري ولو كان بسيطًا.

تذكر:

ليس المطلوب أن تكون ثريًا... بل أن تكون رحيمًا.

خلاصة الفصل

حديث **أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين** ليس مجرد كلام جميل.

إنه دعوة عملية لصناعة مجتمع أكثر رحمة.

اليتيم ليس عبئًا على المجتمع...

بل **أمانة عنده**.

ومن يحمل هذه الأمانة بصدق،

قد يجد نفسه يوم القيامة **قريبًا من النبي ﷺ... بمسافة إصبعين فقط**.

فكرة تستحق التفكير:

ربما يتيم واحد في حياتك...

يكون سببًا في قربك من النبي ﷺ في الجنة.

في أحد دور الأيتام سُئل طفل صغير:

ماذا تتمنى؟

لم يقل:

ألعابًا كثيرة

ولا هاتفًا جديدًا

بل قال ببساطة:

أتمنى أن يكون لدي شخص يسألني كل يوم: كيف كان يومك؟

كم تبدو هذه الأمنية بسيطة...

لكنها عند اليتيم **شيء كبير جدًا**.

فرصة متاحة للجميع

في الماضي كان كفالة اليتيم تعني أن يعيش الطفل في بيتك.

أما اليوم فالأمر أصبح أسهل بكثير.

يمكنك أن تكفل يتيمًا عبر:

الجمعيات الخيرية

برامج الكفالة الشهرية

دعم تعليمه أو صحته

قد يكون المبلغ بسيطًا بالنسبة لك...

لكنه قد يغيّر حياة طفل بالكامل.

تخيّل هذا المشهد يوم القيامة

الناس يقفون في انتظار الحساب...

ثم يأتي شخص ويُقال له:

اقترب.

فيتعجب الناس:

لماذا هذا القرب؟

لم يكن هذا الرجل أشهر الناس...

ولا أغناهم...

لكنه كان يفعل شيئًا واحدًا باستمرار:

كان يرعى يتيمًا.

خاتمة الفصل

حديث النبي ﷺ **أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين** ليس مجرد حديث عن الصدقة.

إنه دعوة لصناعة إنسان...

ولبناء مجتمع رحيم.

ففي كل مدينة...

وفي كل حي...

يوجد طفل ينتظر من يمد له يدًا.

ربما تكون أنت ذلك الشخص.

وربما يكون ذلك اليتيم...

سببًا في قربك من النبي ﷺ في الجنة بمسافة إصبعين فقط

الفصل الثالث و الثلاثون

حين تدخل الجنة بسبب ... دين

إنَّ رَجُلًا كانَ فِيمَن كانَ قَبْلَكُمْ، أتاهُ المَلَكُ لِيَقْبِضَ رُوحَهُ، فقِيلَ له: هلْ عَمِلْتَ مِن خَيْرٍ؟ قالَ: ما أعْلَمُ، قيلَ له: انْظُرْ، قالَ: ما أعْلَمُ شيئًا، غيرَ أنِّي كُنْتُ أُبايِعُ النَّاسَ في الدُّنْيا وأُجازِيهِمْ، فَأُنْظِرُ المُوسِرَ، وأَتَجاوَزُ عَنِ المُعْسِرِ، فأدْخَلَهُ اللَّهُ الجَنَّةَ

(أخرجه أحمد)

تخيّل معي هذا المشهد...

رجل يقف بين يدي ملائكة الموت.

سؤال واحد فقط:

هل عملت خيرًا؟

يتفكّر...

يتأمّل...

لا صيام طويل يذكره،

ولا قيام ليل يباهي به،

ولا صدقات سرّية يخبر عنها...

ثم يقول بتواضع:

لا أعلم شيئًا... إلا أني كنت أداين الناس... فإذا كان موسرًا أنظرته، وإذا كان معسرًا تجاوزت عنه

وفي اللحظة التي ظنّ فيها أن عمله صغير...

كان عند الله عظيمًا.

قال ﷺ:

إنَّ رَجُلًا كانَ فِيمَن كانَ قَبْلَكُمْ، أتاهُ المَلَكُ لِيَقْبِضَ رُوحَهُ، فقِيلَ له: هلْ عَمِلْتَ مِن خَيْرٍ؟ قالَ: ما أعْلَمُ، قيلَ له: انْظُرْ، قالَ: ما أعْلَمُ شيئًا، غيرَ أنِّي كُنْتُ أُبايِعُ النَّاسَ في الدُّنْيا وأُجازِيهِمْ، فَأُنْظِرُ المُوسِرَ، وأَتَجاوَزُ عَنِ المُعْسِرِ، فأدْخَلَهُ اللَّهُ الجَنَّةَ. (أخرجه أحمد)

وفي رواية أخرى عن أبي هريرة رضي الله عنه:

كان تاجر يداين الناس، فإذا رأى معسرًا قال لفتيانه: تجاوزوا عنه، لعل الله أن يتجاوز عنا، فتجاوز الله عنه. (رواه البخارى)

لحظة...

تجاوز عن الناس... فتجاوز الله عنه!

يا لها من معادلة سماوية مذهلة

قاعدة السماء: الجزاء من جنس العمل

هذه ليست قصة تاجر فقط...

هذه سنّة كونية لا تتغير.

الله تعالى يقول:

وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ (الأعراف 156)

رحمة الله تبحث عن سبب.

تبحث عن لفتة.

عن دمعة مسكين.

عن دينٍ أُسقط.

عن قلبٍ لم يُقسِ.

الرجل لم يكن من كبار العُبّاد، لكنه كان صاحب **قلبٍ رحيم**.

وفي الحديث:

من يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة (رواه مسلم)

تيسّر... يُيسّر عليك.

تستر... يُستر عليك.

تعفو... يُعفى عنك.

المعادلة واضحة... لكن التطبيق يحتاج قلبًا حيًا.

التاجر الذي فهم التجارة الحقيقية

هو كان تاجرًا...

لكن يبدو أنه كان يفهم جيدًا معنى الاستثمار

الناس كانت تقصد بابه تقترض منه.

لم يكن بنكًا يضاعف الدين.

لم يكن مرابيًا يطارد المعسرين.

كان إنسانًا.

إذا رأى معسرًا... قال:

تجاوزوا عنه

كم كلمة قالها في حياته؟

وكم واحدة منها صنعت له الجنة؟

النبي ﷺ قال:

رحم الله عبدًا سمحًا إذا باع، سمحًا إذا اشترى، سمحًا إذا قضى، سمحًا إذا اقتضى (رواه البخارى)

السماحة ليست ضعفًا.

السماحة عبادة.

السماحة طريق إلى العرش.

من السيرة: هكذا كان قلب النبي ﷺ

انظر إلى قلب النبي ﷺ...

في يوم فتح مكة، بعد سنوات من الأذى والطرد والحروب، وقف أمام من آذوه وقال:

اذهبوا فأنتم الطلقاء

أي مدرسة هذه؟

أي قلب هذا؟

وكان ﷺ يستدين أحيانًا، ويقضي بأحسن مما أخذ.

ويقول:

أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس...

النفع ليس دائمًا مالًا...

أحيانًا يكون تأجيلًا.

أحيانًا يكون عفوًا.

أحيانًا يكون إسقاطًا لدين.

بين عالمين: عالم الرحمة... وعالم القسوة

للأسف...

في واقعنا اليوم نرى من يطارد المعسرين،

ويثقلهم بالفوائد،

ويزيد الدين مقابل التأجيل،

وكأن الآية لم تنزل:

وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ

(البقرة 280)

وأن تصدقوا خير لكم

أي أن تسقطوا الدين... خير لكم!

ليس خيرًا له فقط...

بل لك أنت... يوم تحتاج أنت إلى التجاوز.

قصة تتكرر في عصرنا

في كل زمن هناك نسخ حديثة من هذا التاجر...

رجل أعمال يسقط ديون المحتاجين في الخفاء.

تاجر يمحو حسابات الأيتام.

شخص بسيط يتنازل عن حقه لأنه رأى دمعة في عين أخيه.

ربما لا تذكرهم الأخبار.

لكن تُذكر أسماؤهم في السماء.

قال ﷺ:

من نفس عن غريمه أو محا عنه، كان في ظل العرش يوم القيامة (أخرجه أحمد)

تخيل المشهد يوم القيامة...

الناس في الكرب...

والشمس تدنو...

وأنت في ظل العرش...

بسبب دينٍ عفوت عنه.

الرسالة الأخيرة... لك أنت

لا تحقرنّ معروفًا.

لا تقل: هذا شيء بسيط.

الرجل نفسه قال: ما أعلم شيئًا

وكان ذلك الشيء... جنة.

رب كلمة: **سامحتك**

رب رسالة: **خذ وقتك**

رب تنازل: **لا أريد حقي**

تكون طوق نجاتك.

قد يموت قوم... وتبقى مكارمهم.

وقد يعيش قوم... وهم في عداد الأموات.

فاختر لنفسك أي الفريقين تريد أن تكون.

وفي النهاية...

إذا أردت أن يتجاوز الله عنك...

فتجاوز عن عباده.

وإذا أردت رحمة السماء...

فارحم من في الأرض.

فربما يكون مفتاح الجنة...

دينًا سامحت به

الفصل الرابع والثلاثون

صنائع المعروف...

الدرع الخفي الذي يحمي حياتك

صنائع المعروف تقي مصارع السوء، وصدقة السر تُطفئ غضب الرب، وصلة الرحم تزيد في العمر

(أخرجه الحاكم و البيهقي)

في عالم يمتلئ بالمفاجآت، حيث تتقلب الأيام بين أفراح وأزمات، يبحث الإنسان دائمًا عن الأمان.

الأمان في الصحة... الأمان في المال... الأمان في المستقبل.

لكن الإسلام يكشف لنا سرًا عجيبًا:

هناك **نوع من الأمان لا يُشترى بالمال، بل يُبنى بالأعمال.**

إنه **أمان الخير.**

قال النبي ﷺ:

صنائع المعروف تقي مصارع السوء، وصدقة السر تُطفئ غضب الرب، وصلة الرحم تزيد في العمر(أخرجه الحاكم و البيهقي)

هذه الكلمات القليلة ليست مجرد نصيحة أخلاقية، بل **قانون من قوانين الحياة.**

بمعنى بسيط:

الخير الذي تصنعه اليوم... قد يكون سبب نجاتك غدًا.

عندما يصبح الخير حماية

أحيانًا يظن الناس أن الخير مجرد فضيلة اجتماعية، أو سلوك لطيف بين البشر.

لكن النصوص الإسلامية تكشف بعدًا أعمق بكثير.

فالخير قد يكون **سببًا في دفع البلاء.**

ولهذا قال النبي ﷺ:

إن الصدقة لتطفئ غضب الرب وتدفع ميتة السوء (رواه الترمذي)

وفسّر العلماء ميتة السوء بأنها الموت في الكوارث أو الحوادث المؤلمة:

كالغرق، والحريق، والانهيارات، والحوادث المفاجئة.

أي أن أعمال الخير يمكن أن تكون **درعًا غير مرئي يحفظ الإنسان من كثير من المصائب**.

درس من أم المؤمنين خديجة

عندما عاد النبي ﷺ خائفًا بعد أول لقاء مع الوحي، كانت **خديجة رضي الله عنها** أول من طمأنه.

لكنها لم تعتمد على مجرد كلمات مواساة، بل ذكّرته بأعماله.

قالت له:

كلا والله لا يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق

لاحظ شيئًا مهمًا...

خديجة لم تقل

أنت ذكي، أو قوي، أو ناجح

بل قالت

أنت إنسان يصنع الخير للناس

وكأنها تقول له:

من عاش للخير... يحفظه الله

قصة من التاريخ: الإمام الذي أنقذه معروف قديم

يروى في كتب السير أن أحد العلماء الصالحين كان مسافرًا في قافلة،

فتعرضت القافلة لهجوم قطاع الطرق.

بدأ اللصوص بتفتيش الناس وأخذ أموالهم.

وعندما وصل أحدهم إلى هذا العالم، نظر إليه قليلًا ثم قال لرفاقه:

اتركوه... هذا الرجل لا يُؤذى

تعجب الناس وسألوه بعد ذلك: كيف عرفت الرجل؟

قال اللص:

قبل سنوات كنت جائعًا في مدينة بعيدة، ولم يطعمني أحد إلا هذا الرجل

تلك الوجبة البسيطة التي نسيها العالم...

أنقذت حياته بعد سنوات.

هكذا يعمل الخير أحيانًا.

يخرج منك صغيرًا... ثم يعود إليك عظيمًا.

خير صغير... أثر كبير

النبي ﷺ كان يلفت انتباه أصحابه إلى أن المعروف ليس بالضرورة عملاً ضخمًا.

بل قد يكون شيئًا بسيطًا للغاية.

قال ﷺ:

تبسمك في وجه أخيك لك صدقة. (رواه الترمذي)

وفي حديث آخر قال:

لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق (رواه مسلم)

في زمن السرعة ووسائل التواصل، قد نستهين بالأشياء الصغيرة.

لكن الحقيقة أن:

كلمة طيبة قد تنقذ إنسانًا من اليأس

ابتسامة قد تغيّر يوم شخص بالكامل

مساعدة بسيطة قد تبقى في ذاكرة إنسان طوال حياته

الخير الصغير **ليس صغيرًا عند الله**.

قصة مؤثرة: الخليفة الذي حمل الطعام بنفسه

في إحدى ليالي المدينة، كان الخليفة

عمر بن الخطاب

يتفقد أحوال الناس كعادته.

فسمع صوت أطفال يبكون في خيمة صغيرة.

اقترب فوجد امرأة تغلي قدرًا فوق النار، وأطفالها ينتظرون الطعام.

سألها: ما شأنهم؟

قالت:

الجوع... وليس في القدر إلا ماء لأشغلهم حتى يناموا

اهتز قلب عمر.

عاد مسرعًا إلى بيت المال، وحمل كيس الدقيق بنفسه.

قال له أحد الصحابة: دعني أحمله عنك يا أمير المؤمنين.

فأجاب عمر بجملة خالدة:

أتحمل عني وزري يوم القيامة؟

ثم حمل الطعام بنفسه وأطعم الأطفال حتى ضحكوا.

هذا الموقف البسيط صار واحدًا من **أعظم دروس القيادة في التاريخ**.

الرسالة كانت واضحة:

العظمة الحقيقية هي في خدمة الناس

قصة تاريخية: الرجل الذي أنقذته صدقة

ذكر المؤرخون قصة رجل كان كثير الصدقة، وكان يحب إخفاءها.

وفي إحدى الليالي تعرض لحادث خطير في الطريق.

تحطم المركب الذي كان يستقله، وغرق معظم الركاب.

لكن الرجل نجا بطريقة عجيبة.

كان يقول لمن حوله:

لا أدري لماذا نجوت... لكني أرجو أن تكون صدقة خفية فعلتها يومًا

هذه الفكرة تكررت كثيرًا في قصص الصالحين:

أن **الخير الخفي قد يكون سببًا في النجاة في اللحظات الحرجة**.

لماذا يحب الناس أهل المعروف؟

هناك قاعدة نفسية بسيطة:

الإنسان بطبيعته يحب من يساعده.

ولهذا قال النبي ﷺ:

من صنع إليكم معروفًا فكافئوه (رواه أبوداود و النسائي)

وإن لم يستطع الناس مكافأتك بالمال أو الخدمة، فسيكافئونك بشيء أعظم:

الدعاء الصادق.

كم من إنسان فتح الله عليه أبواب الخير بسبب دعوة مخلصة من شخص ساعده يومًا.

مفاجأة الخير: أثره يعود إليك

هناك حقيقة نفسية واجتماعية عميقة:

الناس بطبيعتها **تحب من أحسن إليها**.

ولهذا قال النبي ﷺ

من صنع إليكم معروفًا فكافئوه

وحتى إن لم يستطيعوا مكافأتك، فسيكافئونك **بالدعاء الصادق**

وأحيانًا...

قد يكون دعاء إنسان محتاج سببًا في فتح باب رزق لك، أو تفريج كربة عنك

نموذج من السلف: سعادة إدخال السرور

كان أحد كبار التابعين

الحسن البصري

يقول:

والله لأن أقضي حاجة أخ لي في الله أحب إلي من أن أعتكف شهرًا

لماذا؟

لأنه فهم أن **خدمة الناس عبادة عظيمة**.

وقال عالم آخر:

أفضل ما في الدنيا إدخال السرور على قلب مؤمن

تخيل لو أصبح هدفك اليومي بسيطًا:

أن تجعل حياة شخص واحد أفضل.

كم ستتغير حياتك... وحياة الآخرين!

النبي **موسى عليه السلام**، قبل أن يصبح نبيًا، سقى لفتاتين ضعيفتين عند البئر

عندما رأى عجزهما.

فماذا حدث بعد ذلك؟

كانت تلك اللحظة سببًا في بداية مرحلة جديدة في حياته:

العمل، والزواج، والاستقرار.

كأن القدر يقول

خطوة خير واحدة... قد تغيّر مسار الحياة

الخير يحفظ النعم

أي أن بعض الناس يملك المال، أو العلم، أو النفوذ...

ليس فقط ليعيش حياة مريحة، بل ليكون **باب خير للناس.**

فإذا استخدم هذه النعمة في الخير، بقيت.

وإذا منعها عن الناس، قد تزول.

وهذه قاعدة واضحة في الحياة:

النعم التي تخدم الناس... تدوم.

قصة معاصرة

يحكي أحد رجال الأعمال أنه في بداية حياته كان فقيرًا جدًا.

وكان يعمل في متجر صغير.

في أحد الأيام دخل رجل محتاج يطلب مساعدة مالية.

لم يكن يملك إلا مبلغًا بسيطًا... ومع ذلك أعطاه إياه.

مرت السنوات.

وكبر مشروعه التجاري.

وفي إحدى الصفقات الكبيرة واجه مشكلة قانونية معقدة.

وكان الشخص الوحيد القادر على حلها... محاميًا معروفًا.

وعندما التقيا، اكتشف أن هذا المحامي هو نفس الرجل الذي ساعده قبل سنوات.

ابتسم المحامي وقال:

لا تقلق... أنا مدين لك بمعروف قديم

وهكذا تحولت مساعدة صغيرة...

إلى **حل مشكلة كبيرة بعد سنوات**.

قاعدة ذهبية للحياة

النبي ﷺ أعطانا قاعدة رائعة:

لا تحقرن من المعروف شيئًا (رواه مسلم)

أي لا تقل:

هذا عمل بسيط

هذا لا يغير شيئًا

هذا ليس مهمًا

فأنت لا تعلم أي عمل سيصنع الفرق.

ربما كلمة...

ربما مساعدة...

ربما صدقة صغيرة...

لكنها عند الله **ليست صغيرة**.

عندما يصبح الخير أسلوب حياة

أجمل ما في الأمر أن الخير يمكن أن يتحول إلى **عادة يومية**.

يمكنك أن تسأل نفسك كل صباح:

من الشخص الذي سأساعده اليوم؟

من الشخص الذي سأدخل السرور على قلبه؟

ما العمل الصغير الذي سأقدمه اليوم؟

ومع مرور الأيام ستكتشف شيئًا مذهلًا:

كلما أعطيت أكثر...

عاد إليك الخير أكثر.

الخلاصة: السر الذي يعرفه أهل الخير

الناس غالبًا يبحثون عن السعادة في المال أو الشهرة أو النجاح.

لكن الذين جربوا طريق الخير يعرفون سرًا مختلفًا:

السعادة الحقيقية تأتي عندما تكون **سببًا في سعادة الآخرين.**

ولهذا قال النبي ﷺ:

صنائع المعروف تقي مصارع السوء. (أخرجه الحاكم و البيهقي)

جملة قصيرة... لكنها تحمل فلسفة حياة كاملة.

اصنع الخير...

لأنه عبادة

لأنه يجلب البركة

لأنه يقرب القلوب

ولأنه قد يكون سببًا في نجاتك يومًا ما

فربما عمل صغير تفعله اليوم...

يكتب الله به قصة نجاة عظيمة في حياتك.

الفصل الخامس و الثلاثون

ليس عليك هداهم...
ولكن عليك قلبك

لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلِأَنفُسِكُمۡۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ ٱللَّهِۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ

(البقرة 272)

تخيّل أنك تساعد شخصًا... ثم تكتشف أنه لا يشاركك إيمانك.

أو أنك تتصدق... فيقول لك أحدهم: ليش تعطيه؟ هو مش من جماعتنا

هنا يأتي الرد السماوي الواضح، الحاسم، الراقي:

ليس عليك هداهم

مهمتك ليست تغيير القلوب

هذه الآية نزلت في موقف إنساني جدًا.

جاءت قُتيلة أمّ الصحابية الجليلة أسماء بنت أبي بكر — وكانت مشركة —

تسأل ابنتها شيئًا من المال.

توقفت أسماء.

قالت: لا أعطيكما حتى أستأمر رسول الله ﷺ، فإنكما لستما على ديني.

فنزل القرآن يحرر القلوب قبل الأيدي:

ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء

وأمر النبي ﷺ أسماء أن تعطي أمها.

الرسالة؟

أنت لست مسؤولًا عن إيمان الناس.

أنت مسؤول عن إنسانيتك.

الصدقة ليست صفقة دعوية

بعض الأنصار كان لهم أقارب من يهود بني قريظة والنضير، فكانوا يمتنعون عن إعطائهم لعلّهم يُسلمون إن احتاجوا.

لكن الله قال:

لا تجعلوا الصدقة أداة ضغط.

الدين أسمى من أن يكون وسيلة ابتزاز روحي.

العطاء يعود إليك... قبل أن يصل إليهم

كأن الله يقول لك:

لا تقل أنا أعطيته...

بل قل: أنا ادّخرت لنفسي.

الإنفاق ثلاث مكاسب في صفقة واحدة:

تزكية للنفس – يكسر أنانيتك.

حماية للمجتمع – الفقر إذا اشتد قد يتحول إلى انفجار.

أجر لا يُنقص –وأنتم لا تُظلمون

الله لا يضيع فلسًا أعطيته لوجهه.

قصة تهز المفاهيم

في الحديث الصحيح الذي رواه أبو هريرة في صحيح البخاري وصحيح مسلم:

رجل قال: لأتصدقن الليلة بصدقة.

فوضعها في يد امرأة... فإذا هي زانية.

تحدث الناس.

فقال: اللهم لك الحمد على زانية.

ثم تصدق مرة ثانية... فإذا هي في يد غني.

ثم ثالثة... فإذا هي في يد سارق!

وفي كل مرة يقول: اللهم لك الحمد.

فأُتي في المنام فقيل له:

أما صدقتك فقد قُبلت.

فلعل الزانية تستعف،

ولعل الغني يعتبر،

ولعل السارق يتوب.

الرسالة الخطيرة:

أنت مأجور على نيتك،

ولست محاسبًا على خفايا الناس.

إنسانية لا تعرف الحدود

الإسلام لا يمنعك من إغاثة غير المسلم.

بل إن جمهور الفقهاء أجازوا صدقة التطوع لغير المسلم.

أما الزكاة المفروضة فمصارفها محددة في سورة التوبة.

بل إن النبي ﷺ في صلح الحديبية، حين أصابت قريش مجاعة، أرسل مالًا إلى أبو سفيان بن حرب ليسد حاجتهم... وهم يومها مشركون.

وتأمل موقف عمر بن الخطاب حين رأى شيخًا ذميًا يسأل الناس، فقال له:

ما أنصفناك! أخذنا منك الجزية صغيرًا، وضيعناك كبيرًا.

وأجرى له راتبًا من بيت المال.

هذه أخلاق دولة... لا مجرد صدقة فرد.

حتى الحيوان!

قال الصحابة: يا رسول الله، وإن لنا في البهائم أجرًا؟

قال ﷺ:

في كل ذات كبد رطبة أجر. (رواه البخارى)

إذا كان الحيوان له نصيب من رحمتك...

فكيف بإنسان؟

سر القبول: ابتغاء وجه الله

وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله (البقرة 272)

ليس لأجل صورة.

ليس لأجل مدح.

ليس لأجل شكراً في التعليقات.

بل لوجه الله.

كلمة وجه الله تعني أنك تطلب الجهة الباقية...

التي لا تزول.

لا تصفق لك اليوم وتنسى غدًا.

لا تُظلَم... أبدًا

وما تنفقوا من خير يوفَّ إليكم وأنتم لا تُظلمون (البقرة 272)

كل ريال...

كل وجبة...

كل ابتسامة...

كل تحويل خفي في جوف الليل...

محفوظ.

والجزاء ليس نسخة طبق الأصل...

بل أضعاف مضاعفة.

لمن الأولوية؟

ثم يلفت القرآن انتباهك:

للفقراء الذين أُحصروا في سبيل الله... يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف

(البقرة 273)

أولئك الذين لا يسألون الناس إلحافًا.

المتعففون.

الذين وجوههم حياء.

ليس كل محتاج يصرخ.

بعضهم يصمت... ووجعه أعمق.

الخلاصة التي تغيّر طريقة عطائك

لست مسؤولًا عن هداية الناس.

لا تمنّ بعطائك؛ فهو عائد إليك.

لا تحرم محتاجًا لأنه مختلف عنك.

نيّتك هي مفتاح القبول.

الخير لا يضيع.

الإسلام لا يريد منك أن تفتش في قلوب الناس...

بل أن تنظف قلبك أنت.

أن تعطي لأنك مؤمن...

لا لأنهم مؤمنون.

وهنا يرتقي العطاء من معاملة إلى عبادة.

ومن مساعدة عابرة...

إلى لقاء مع الله.

الخاتمة

بعد هذه الرحلة...

ربما لم يتغير مقدار ما تملك،

لكن إن تغيّر قلبك... فقد ربحت كل شيء.

لأن القضية لم تكن يومًا في المال،

بل فيمن تثق به حين تعطي.

هل تثق بما في يدك؟

أم تثق بما في يد الله؟

لقد رأيت كيف تبدأ الحكاية بخوف...

وينتهي بيقين.

كيف يُقنعك الشيطان أن العطاء نقص،

ثم يريك الله أنه امتلاء من نوعٍ آخر.

تعلّمت أن البركة لا تُقاس بالأرقام،

وأن الصدقة لا تُفهم بمنطق الأرض فقط،

بل بمنطق السماء... حيث كل شيء يُضاعف.

وربما أدركت الآن...

أن أعظم ما في العطاء،

ليس ما يصل إلى الفقير... بل ما يصل إلى قلبك أنت.

ذاك السلام...

ذاك الاتساع...

ذاك الشعور الخفي أنك في مكانك الصحيح.

وإن خرجت من هذا الكتاب بشيءٍ واحد...

فليكن هذا:

لا تؤجّل العطاء.

لا تنتظر الغنى.

لا تنتظر الظروف المثالية.

ابدأ...

بتمرة...

بكلمة...

بابتسامة...

بنية صادقة.

فرب عملٍ صغير، كبر عند الله حتى صار بابًا إلى الجنة.

تذكّر:

أنك لا تُعطي فقط... بل تُوقّع عقد ثقة مع الله.

أنفِق... ولا تخف.

فما عند الله... لا يخيب أبدًا.